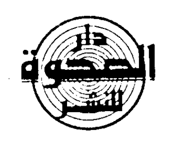
رسائل إلى الشباب المسلم

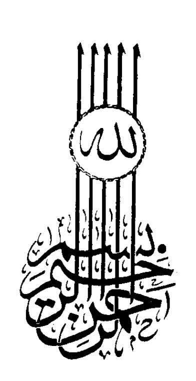
(٧)

الشباب المسلم

قضاياه ومشكلاته

أنور الجندي



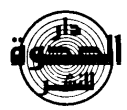


الشباب المسلم

قضاياه ومشكلاته

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م



دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة
الإدارة : ٧ ش السراى - أول المنيل ت . فاكس : ٩٨٧٩٢٤
الفرع : حدائق حلوان - بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١

مدخل إلى البحث

لما كان الشباب المسلم فى هذه المرحلة الدقيقة من حياة الأمة الإسلامية فى حاجة إلى ضوء كاشف ينيرله الطريق ، ويكشف له صادق الأمرفى هذه المشكلات المعقدة التى تعترض طريقه ، ويقدم له حلولها من وجهة نظرالإسلام ، ويرد على الأسئلة العديدة التى تواجهه فى مختلف المجالات ، والتى تثور دائماً فى الصدور تبحث عن الإجابة الصحيحة .

ولما كان الرائد لايكذب أهله ، فقد رجونا بعون الله تعالى ، وفى ضوء القرآن الكريم أن تكون هذه الرسالة الموجزة مفتاحاً لهذه الحقائق ، ومنطلقًا لإضاءة الوجهة الصادقة إلى مانرجو أن يكون السبيل الصحيح :﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ [1] ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ [2] .

وعلينا فى مطلع الحديث أن نقدم عدداً من الحقائق تكون بمثابة المنطلق لما نرجو أن يكون مدخلاً طيباً مباركاً إلى كلمة الله الحق .

الحقيقة الأولى :

إن أول مانقوله لشبابنا المسلم أن طريقنا : «طريق الإسلام » هوطريق الله الحق ، وهودين الله الخالد الذى أرسل به تبارك وتعالى رسولنا محمد ﷺ. ليظهره على الدين كله وأقام كتابه (القرآن الكريم) حجة على العالمين ، وتحديا قائما إلى يوم القيامة للبشرية كلها ؛ أن تأتى بسورة من مثله ،أوآية من مثله ، ولن تستطيع ، وهوالذى شاء الله تبارك وتعالى أن يكون كتاب الإنسانية بعد أن دخلت مرحلة نضجها واستعدادها لحمل الرسالة العالمية . ولذلك فقد جاء خاتما للكتب السماوية ، ومهيمنًا عليها . والإسلام هودين الله الحق الذى أرسل به جميع الرسل والأنبياء : يدعوالناس إلى توحيد الله وعبادته ، وتطبيق شريعته ، وبناء مجتمعه فى الأرض ومنذ جاءآدم أبوالبشر فقد جاءت معه دعوة التوحيد الخالص التى عاشت البشرية فى معركة دائمة متصلة بين التوحيد والوثنية ، فما

---

(١) يوسف : ١٠٨.   (٢) الأنعام :١٥٣ .

تلبث البشرية بعد أن تبعد عنها رسالات الأنبياء أن تنحرف إلى الوثنية والمادية ، ثم تعيدها رسالات السماء مرة أخرى إلى التوحيد .

ولقد جاءت رسالة الإسلام على يد محمد ﷺ ، مجددة لدعوة إبراهيم عليه السلام الحنيفية السمحاء التى حرفتها من بعد كتابات الأحبار والرهبان فى تفسيرات ضالة ، خرجت برسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام عن الطريق الذى كان عليهما يسيرا فيه ، مبشرين برسالة محمدﷺ:« الرسالة الخاتمة » .فقد غلا بنو إسرائيل فى دينهم وحرفوا رسالتهم بدعوى أنهم شعب الله المختار . ثم جاء النصارى فحرفوا رسالتهم التى هى آخر رسالات بنى إسرائيل ، إلى دين عالمى يقوم على غير مفاهيمه الأصلية ، وكان من فساد عقيدتهم (الصلب والتثليث والخطيئة) ودعواهم الباطلة بأن المسيح هو الله ، وهوابن الله. ومن هنا جاء الإسلام ليعيد البشرية مرة أخرى إلى الطريق الصحيح : طريق دين الحق المنزل .﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ (١) .

هذا الدين الحق : هو دين الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ ، والذى مازال كتابه القرآن الكريم بين أيدينا غضا طريا هو عصمة أمرنا كمسلمين ، ونحن حملة لوائه ، ومن حقه علينا أن نطبقه على أنفسنا : بوصفه دينا ومنهج حياة ، ونظام مجتمع ، فنقيم شريعته ، ونحل حلاله ونحرم حرامه ، ونبنى مجتمعه الربانى على شريعة العدل والرحمة والإخاء البشرى ؛ إيمانا منا بأن الإنسان هو المستخلف بأمر ربِّه فى الأرض ، وعليه مسؤوليته الفردية، والتزامه الأخلاقى ، وهوالذى سيجزى بماعمل يوم القيامة . وعليه أن يؤمن بهذه المسؤولية ، وبالبعث والجزاء حتى يكون قادراً على أداء رسالته على الأرض بالحق .

هذه الحقيقة الأولى التى يجب على شبابنا أن يعرفها كمدخل إلى مواجهة تلك التحديات التى تطرحها المجتمعات الحديثة، والثقافات الوافدة فى مختلف المجالات .

الحقيقة الثانية:

إن هذه الأمة التى أنزل فيها الحق تبارك وتعالى رسالته الخاتمة ، والتى وصفها بأنها (أمة وسطاً) قد اختار الله لها هذه المنطقةبين القارات الثلاث ، وجعلها أخطر المواقع من ناحية الجغرافيا والاستراتيجية بين البحار والمحيطات ، وأعطاها أصفى المواقع من ناحية

(١) النحل : ١٢٣ .

الطقس والجو، وأمدها بأعظم المعطيات من خيرات الأرض :زراعة، وماء، وثروة .كما منحها فى باطن الأرض مقادير وافرة من المنجنيز والكوبلت والبترول وسائر الذخائر، وبذلك جعلها مطمع كل الأمم والقوى العالمية ، كما جعلها موضع الامتحان أمام الغزو الأجنبى الذى لم ينقطع عنها . فدعاها إلى المقاومة والمواجهة والمرابطة فى الثغور وإعداد الجنود والعتاد لإرهاب عدو الله وعدوها ، وحتى تكون دائماً على تعبئة حتى لايفاجئها عدوها بالإغارة عليها واحتلال أرضها ، ولقد عاشت فى مواجهة مع الروم والإفرنج والصليبيين ، والاستعمار الغربى ، ثم مع الصهيونية والشيوعية فى العصر الحديث. ولذلك فهى لابد أن تعى التجربة ، وتعلم أنها لابد أن تظل على استعداد للجهاد الدائم ، والمقاومة، وألا تركن أبداً إلى الترف ورخاء العيش ، وما يتبعه من انحلال وفساد ، وأن تقيم نظام الله تبارك وتعالى بالحق ، فهو الذى يعصمها من الهزيمة والانحلال ، فإذا ركنت إلى الضعف هزمها عدوها ، وأمكن منها . وعندئذ لاتستطيع أن تعود إلى امتلاك إرادتها إلا بالتماس منهج الله مرة أخرى ، فهو عاصمها الحقيقى ، وإنها مهما اصطنعت من مذاهب الأمم وأيدلوجيتها ؛فإن ذلك لن يجديها إلا مزيداً من الهزيمة والانهيار .

ولذلك فالشباب المسلم فى العالم الإسلامى اليوم مدعو إلى الأخذ بأسباب العزائم والقوة ، واستئناف فريضة الجهاد والمرابطة فى الثغور حتى يستطيع أن يستعيد أرضه ونفوذه، وإقامة مجتمعه ، لأن عليه من بعد ذلك تبليغ رسالة الله إلى العالمين ، ودعوة الشعوب التى انهارت حضارتها ، وفسدت مجتمعاتها إلى هذا الهدى الربانى الصحيح .

الحقيقة الثالثة:

إن هذا العدو المتربص بهذه الأمة قد استطاع خلال فترة سيطرته أن يسيطر فى ثلاثة ميادين : ميدان السياسة ، وميدان الاقتصاد ، وميدان الاجتماع . ففرض نظامه الليبرالى الديمقراطى أو الماركسى ، وفرض نفوذه الرأسمالى وأساليب الربا ، وفرض قانونه الوضعى بديلاً للشريعة الإسلامية ، كما ربى أجيالاًعلى مفاهيمه التربوية الغربية ، وفرض مفهوم العلمانية فاصلاً بين الدين والدولة ، والمجتمع والأخلاق ، واستطاع أن يزلزل بذلك قوائم القيم الإسلامية فى المجتمعات ، وأن ينشئ أجيالاً مهزوزة مضطربة تسيطرعليها الأهواء والشهوات ، وطرح مفاهيم فى النفس والاجتماع والأخلاق من خلال الفرويدية والوجودية وغيرها . حطمت تلك الحواجز الأخلاقية القوية التى كانت تحمى شبابنا من

الانحدار إلى أتون الشهوات أو الانحراف إلى الفساد الأخلاقى .

فى ظل هذه الحقائق الثلاث يجد شبابنا مفاتيح الفهم للأوضاع المضطربة فى المجتمع الإسلامى وبخاصة فى ميادينه الثلاث الكبرى التى تحتاج إلى دراسة واسعة، وهى:

ميدان العقائد والأخلاق .

ميدان الفكر والثقافة .

ميدان المجتمع ، وقضايا العلاقات بين الرجل والمرأة .

أولا : ميدان العقيدة الإسلامية

(١)

على الشباب المسلم أن يكون عميق الفهم لعقيدته ، فإنها عصمة الأمر كله وعماده، فإذا قامت على أساس صحيح ولدت إيمانا عميقا بالله تبارك وتعالى ، يكون هو العدة في الملمات والأزمات ، وهو القوة في مواجهة أمور الحياة ، وهو الأسلوب النقى في المعاملة مع الناس في الأسرة والمجتمع .

والتوحيد هو أكبر عقائد الإسلام : قوامه الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى ووحدانيته، وتفرده بالخلق والتدبير والتصرف ، وتنزيهه عن المماثلة . وذات الله تبارك وتعالى توصف ولا تدرك ، وتتحقق الهداية إلى الله بمعرفة آثاره في الكون والخلق ، ويقرر الإسلام الطريق الصحيح إلى معرفة الله تبارك وتعالى في حديث الرسول ﷺ:«تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا» وفي رواية أخرى « فإنكم لن تقدروا قدره» وبذلك وضع الإسلام المسلمين على الطريق الصحيح الذي يتقرر معه التعرف إلى الله سبحانه وتعالى ، وأوصد باب البحث المجرد :﴿ **ذلكم الله ربكم لاإله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل .لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ (١) وبذلك تقرر أنه في سبيل التماس الحجة العقلية ؛ فإن الطريق هو النظر ، والتفكير في هذا الكون وهذا الخلق الدال على صانعه وخالقه .

والقرآن الكريم حينما أراد أن يرشد الإنسان إلى ربه وخالقه أرشده بآثاره الدالة على صفاته ، وكمال جلاله وجماله ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ (٢) وقال لموسى عليه السلام :﴿ **لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا** ﴾ (٣) والعجز عن إدراك حقيقة الذات الأقدس عقيدة من عقائد الإيمان بالله وبذلك تسمو الألوهية الحقة عن الدخول في دائرة التفكير العقلي المحدود ، والذي لايستطيع أن يتخطى ماوراء الكون . ويعتقد المسلم بأن لهذا الكون إلها واحداً قديما . وليس النهي عن التفكير في ذات الله حجراً على العقل ، ولاجموداً في البحث ، ولكنه عصمة له من

---

(١) الأنعام :١٠٢، ١٠٣ . (٢) الشورى :١١ . (٣) الأعراف :١٤٣ .

التردى فى مهاوى الضلالة ، وإبعاد له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائل بحثها ، ولاتحتمل قوته مهما عظمت علاجها ، فالمسلم الحق يحصر همته فى إدراك عظمة ربه بالتفكير فى مخلوقاته .

ويقرر الإسلام أنه لايصح أن يطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أوصفة لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسماً له . وقد نهينا عما مالم يرد فى كتاب ولاسنة ، وعلى المسلم أن يفرق بين المعنى الذى يقصد بالنسبة لله تبارك وتعالى ، وبين مايقصد بالنسبة للبشر ، فالمعنى الذى يقصد باللفظ فى صفات الله تعالى يختلف اختلافا كليا عن المعنى الذى يقصد بهذا اللفظ عينه فى صفات البشر. فالله سبحانه باق سميعٌ بصيرٌ متصفٌ بصفات الكمال ، منزهٌ عن صفات النقصان ، وأنه خالق كل شىء ، وإليه المصير ، وإليه يخلص الإنسان العبادة والمراقبة موقنًا أنه مطلع عليه ، وأنه وحده الضار النافع ، وبيده الخير وهو على كل شىء قدير .فلا يدعو معه غيره ، ولايسأل سواه حاجة من الحاجات التى لايقدر البشرعلى مثلها ، ولا يستعين إلا به ، ولايخاف حق الخوف إلامنه ، ولايسخطه ليرضى الناس ، ولايبالى فى سبيل رضاء الله بسخط أحد . كما يعتقد المسلم أن الله خالق كل شىء ، خالق الإنسان والملائكة ، والجن والحيوان ، وخالق الكواكب والأفلاك، والسماء والأرض.

ويؤمن المسلم بواحدانية الربوبية، فلا خالق ، ولا مدبر ، ولا متصرف سوى الله ، كما يؤمن بوحدانية الألوهية ، فلا معبود، ولا مسؤول ، ولا مستعان سوى الله.

ولاريب أن توحيد الألوهية هو أخطرمادعا إليه الإسلام ، وهوعمل الإنسان كالعبادة، ويدخل فيه الاستعانة والاستغاثة .

وقد كان « توحيد الربوبية » معروفا عند العرب قبل الإسلام . كالإيمان بالله خالقا ورازقا . وكان معرفة الطريق بين الشرك والتوحيد هو « توحيد الألوهية » الذى لم يقر به المشركون فى الجاهلية حين أخذوا يوجهون عباداتهم إلى الآلهة لتقربهم إلى الله زلفى. ولقد كانت دعودة التوحيد هى كلمته الأولى ، ثم حدثت الانحرافات بين فترة وأخرى ، فكانت تأتى الأديان بالتوحيد ، ثم تظهر دعاوى الوثنية ، وعبادة الأصنام بمرور

الزمن . وقد وجد التوحيد والوثنية معاً فى كل عصر ولكن الوثنية لم تسبق التوحيد .

لقد بدأت البشرية موحدة ، ثم انتقلت إلى التعدد والشرك . وكانت رسالات السماء تردها مرة بعد أخرى ، إلى أن جاء الإسلام دعوة عالمية وخاتما للأديان .

(٢)

ويقضى الإيمان بالله تبارك وتعالى : الإيمان بالنبوة . فمن أجل أن يبلغ الحق تبارك وتعالى إلى الإنسان مهمته فى الحياة ورسالته فى الأرض ، ويكشف له عن أمانته التى حملها بعث الله الأنبياء والرسل إلى الأمم جميعا مبشرين ومنذرين . والنبى أو الرسول فرد من الناس اختصه الله تبارك وتعالى بالوحى إليه ، واختاره من أعظم قومه نسباً وأكفأ قومه عقلاً وفهماً ودراية ، وأدبه وعلمه . وكان الوحى هو واسطة التبليغ بين الله تبارك وتعالى وبين الرسل الذين اصفاهم من أممهم لحمل الرسالة ، وأداء الأمانة ، وقد جاءت الرسل للبشرية بدين واحد هو الإسلام . أرسل الله سبحانه الرسل ليحرروا الناس من استرقاق الوثنية ، وظلم العباد للعباد .

وما أرسل الله تبارك وتعالى من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم . وقد أيد الله تبارك وتعالى الرسل والأنبياء بالآيات البينات ، والمعجزات الباهرات ، ليجعل لهم من ذلك ظهيرا يهدى إليهم القلوب والأنبياء وهم معصمون عن ارتكاب الذنوب، مبرؤون من العيوب وإن كانوا يتعرضون للصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والحياة والموت ، ويجب فى حقهم : الصدق، والفطانة ، والتبليغ، والأمانة ، ويستحيل فى حقهم :الكذب، والخيانة، والكتمان، والبلادة .

وقد واجهت الأمم أنبياءها ورسلها بالإنكار والتكذيب إلا قليلا ممن هداهم الله إلى الحق . فكان أتباع الأنبياء هم الفقراء والضعاف .

أما أصحاب الجاه والسلطان ، فقدكذبوا وذهبوا فى إيذاء رسل الله كل مذهب ، ودارت معركة طويلة بين الحق الذى يحمله الرسل ، والباطل الذى يدعو إليه المترفون الظالمون ، وكان النصر دائماً للحق والخزى والهزيمة للكافرين .

ويمثل الأنبياء والرسل فى مجموعهم« وحدة الرسالة الإلهية » فهم منذ رسالة نوح عليه السلام إلى خاتم الرسل محمدﷺ . إنما يمثلون منهجا واحداً على المسلم أن يؤمن به

كله من غير تفرقة ولاتفضيل بين أحد من الرسل :﴿ **لانفرق بين أحد من رسله** ﴾ (١) رسالتهم جميعا هى رسالة وحدة : رسالة الإسلام ، ودعوتهم دعوة وحدة هى التوحيد .

وليست النبوة عملا ذاتيا ، ولازعامة فردية ، فهم إنما يحملون رسالتهم ، ويؤدون واجبهم بوحى وتكليف من الله تبارك وتعالى ، فليست دعوتهم نابعة من نفوسهم ، وليست نتيجة للعوامل الاجتماعية فى زمانهم أوما تمخضت عنه أفكارهم أومشاعرهم مما يعانيه الناس . بل هى وحى وتكليف .

ومن هنا فإن العلم الذى ينشرونه بين الناس ، والعقيدة التى يدعون إليها ، والدعوة التى يقومون بها ،لا تنبع من ذكائهم أو حميتهم أومن شعورهم ، وإنما مصدرها الوحى والرسالة ؛ ولذلك فهم لايقاسون على الحكماء والزعماء والمصلحين ، أوالقادة الذين عرفهم تاريخ البشرية .

ومن أجل ذلك لايخضع الرسول لعوامل نفسية خاصة ، أوحوادث وقتية ، ولا يدور الرسول برسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع ، أوشاء المجتمع ، ولايستطيع أن يحدث تغيراً أوتبديلا فى رسالته :﴿ **قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا مايوحى إلى** ﴾ (٢) .

ومن هنا فلا يقاس الأنبياء على مايقاس إليه الزعماء والقادة ؛ لأنهم ليسوا قادرين بحكم عصمتهم وتكليفهم الربانى عن أن يصطنعوا مايسمى المرونة ، أومراعاة المصلحة ، فضلا عن أنهم لايقبلون المساومة على شيء من أمور الدعوة مهما كان الثمن .

ولما كان الإنسان بطبيعته لايستطيع إقامة الحق ؛ فقد أرسل الله الأنبياء بالوحى وبالرسالات لتكون دعائم أساسية لإقامة الحق بعيداً عن أهواء الإنسان ورغائبه وحجة للتكليف الربانى الذى هو أمانة البشرية لله . وتقريرا للمسؤولية الفردية التى تقوم على الإرادة البشرية، والتى هى مناط الجزاء والحساب . وكذلك زود الله الإنسان بالوحى وبالعقل . فالوحى قد قدم له صورة كاملة عن الغيب ، ورسم له منهجا كاملا للحياة ، وأبان له عن رسالته وأمانته ومسؤوليته . أما العقل فهو دليل الشرع ، ومناط التكليف ، وهو أداة العمل لعمران الأرض والسعى فيها ، واستخراج كنوزها ، وكشف مجاهلها .

---

(١) البقرة : ٢٨٥ .

(٢) يونس : ١٥.

ومازال الإنسان بالرغم من الوصول إلى أعلى درجات العلم المادى ،غير قادر على تحقيق رسالته وأمانته على الوجه الأكمل ، ومازالت أهواؤه تدفعه إلى الخطإ والظلم والتردى .

ومن أبرز ماعنى به القرآن الكريم فى أمر النبوة . أنه فصلها فصلا تاما عن « الألوهية » وجعل من المستحيل تحولها إليها ، فمحمد رسول الله يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، وهو ككل البشر عرضة للموت أو القتل،ولقدكان رسول الله ﷺ يؤكد هذا المعنى فى كل تصرفاته حماية لمقام « الألوهية » الأكبر خالق البشر والأنبياء جميعا ، والذى يقف الأنبياء والبشر جميعًا منه موقف العبودية التامة ، وقد حرص القرآن الكريم على تأكيد هذا المعنى حتى لايقع المسلمون فيما وقعت فيه الأمم السابقة من تأليه أنبيائهم وزعمائهم .

وبطولة الرسول بطولة ربانية ، وليست بشرية . ومن هنا خطأ الذين ينظرون إليه على أنه زعيم قومى أو عبقرى ، أو بطل محارب ، حيث يقيسونه بمقاييس البشر ، ولا يوصف سيدنا رسول الله بوصف أعظم من النبوة فإن النبوة هى الجامعة لكل ميزات الزعامة الموزعة على الأبطال والمجموعة فيه هو وحده ﷺ .

والقرآن كتاب الله الخاتم للكتب السماوية المنزلة على البشر، والخالد على الدهر . وقد تميز بأنه رسالة عالمية ، وبأن الله تبارك وتعالى حفظه من التحريف ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (١) أنزل على قلب محمد بن عبدالله ﷺ، بلغة العرب منجمًا على ثلاث وعشرين سنة.بدأ بآية ﴿ **اقرأ** ﴾(٢) وانتهى بآية ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم**﴾(٣) وهوالمعجزة الباقية على مدى الدهور . وقد تحدى الله تبارك وتعالى العرب والعالم جميعا أن يأتوا بسورة من مثله أوآية من مثله ، فعجزوا ومازال التحدى قائماً إلى يوم الدين .

والقرآن منزل من عند الله تبارك وتعالى بلفظه ومعناه . وليس من كلام النبى فى شىء ، ويتميز بذاتية خاصة فى نظمه ومعانيه ومنهجه تميزه عن الكتب السماوية السابقة عنه ، وتفضله عن كلام رسول الله ﷺ. وقد تكفل الله تبارك وتعالى ببيانه ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾ (٤) كما تكفل بحفظه ، وهو خاتم الكتب والمهيمن عليها ، والشاهد على الأنبياء السابقين بأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة .

---

(١) الحجر :٩ .
(٢) العلق :١ .
(٣) المائدة :٣ .
(٤) القيامة :١٩.

وقد جدد القرآن دعوة التوحيد التى جاءت بها الأديان السابقة باعتبارها واحدة فى مصدرها، وواحدة فى غايتها، وكشف عن تحريفات الأحبار والرهبان للتوراة والإنجيل ، ويعد القرآن الكريم المعجزة الكبرى لرسول الإسلام ، وقد جاءت معجزات الأنبياء متفوقة على تحديات عصورهم وبيئاتهم ، ثم انتهت ، أما القرآن الكريم فقد جاء معجزة باقية خالدة على البشرية ، وهى ماتزال قائمة بتحديها وتفوقها على العالمين .

وقد اعتمد القرآن فى مخاطبة الناس على أسلوب الفطرة فخاطب فى الناس العقل ، ودعا إلى تقديم الدليل ، وطالب بالبرهان ، وخاطب فى الناس القلب فى دعوة الإيمان ، وخاطب فى الناس الفكر فى عبرة التاريخ ، والأمم والحضارات ، وخاطب فى الناس السمع بالنظم القرآنى فى جرسه ونغمه ، وخاطب فى الناس البصربالدعوة إلى النظرفى ملكوت السموات والأرض ، فهو بذلك قد خاطب فى الناس كل عوامل التأثر والالتفات، وهو لم يؤلف براهينه على مقدمات وقضايا ونتائج ، وإنما التمس الأسلوب البسيط المنطلق الذى يصل إلى كل النفوس والقلوب ويتأثر به رعاة الإبل والعامة والأمين ، كما استخدم أسلوب الترغيب ، وأسلوب الترهيب ، واستمد طريقة التمثيل بالأمر المحسوس تقريباً للمعانى ، ومن أساليب القرآن الكريم فى الدعوة والإقناع مطالبة الإنسان بالإحتكام إلى نفسه فى تصرفاته الاجتماعية التى تتصل بالغير ، وتوجيهه إلى التفكير فيما يكون عليه الأمر إذا كان هو نفسه ، أومن يهمه أمره من أقرب الناس إليه فى مكان الشخص الآخر الذى يتصرف معه ، وكذلك استعمل القرآن الكريم الأسلوب العقلى والمنطقى ، وذلك عندما ساق المقدمات ونطق بالنتيجة ، أو طالب السامع باستنتاجها ، أوعند مايزيل الشبهة التى أدت إلى اختلاط الأمر أمام النظر وهو أسلوب أرباب الثقافة والفكر . كما استخدم القرآن الأسلوب التلقينى ، وذلك عندما ساق القضايا على أنها مسلمات لاتحتاج إلى دليل ، ولايحتمل المناقشة .

وحكمة العلى القديمة فى ذلك أن الناس يختلفون فى مستوياتهم العقلية والوجدانية والعاطفية ، ومن شأن ذلك أن يتطلب اختلاف الوسيلة فى مخاطباتهم ، كما اختار الحق تبارك وتعالى أسلوب المتابعة للحالات الماثلة فى المجتمع ، فكلما وقف المسلمون أمام أمر من الأمور واجههم القرآن الكريم بالموقف الصحيح ، وتلك حكمة عالية يختلف أثرها عما لونزل القرآن الكريم جملة واحدة . وقد استهدف نزول القرآن الكريم منجما أن يكون نزول الآيات فى أوقاتها عاملاً من عوامل الثقة المتجددة ، وبناء النفوس مرحلة بعد

مرحلة .

ولاريب كان أسلوب القرآن الكريم من حيث اشتماله على وجوه الإقناع العديدة . ومن حيث نزوله منهما هو أصل الأساليب فى الدعوة إلى الله ، وهو بذلك يتميزتميزاً واضحًا عن أساليب الفلاسفة والمتكلمين ، والمناطقة من حيث منهجهم المعقد ، وأساليبهم المتداخلة التى تقف النفس الإنسانية إزاءها مضطربة عاجزة . أما أسلوب القرآن الكريم ، فهو أقرب الأساليب إلى الفطرة وأصلها ، من حيث النفاذ إلى كل مافى الإنسان من عقل ووجدان وحس وعاطفة وكيان . فضلاً عن أن النماذج التى قدمها القرآن الكريم فى طريق الإقناع .هى نماذج بشرية تعيش على أرض الواقع تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ، وهى قصص صادقة ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ [1] ﴿ **نحن نقص عليك نبأهم بالحق** ﴾[2] . ليس فيها تعمّل أو تزويق أوتحريف ، تقصد إلى الغاية ، وتستهدف العبرة ، ولاتعنى بالتفصيلات أو الأسماء .

والقرآن الكريم عقد اجتماعى بين الله والبشر ، قال الإمام ابن حزم : « القرآن هو عهد الله إلينا ألزمنا الإقرار به » فقد قدم للبشرية منهج الشريعة والأخلاق والعقيدة ، ووضع الحدود التى أقامها الله تبارك وتعالى بين الحلال والحرام ، والحق والباطل ، والخير والشر، والهدى والضلال ، وليس القرآن الكريم عند المسلمين مجرد كتاب صلوت أو أوراد أو غذاء للروح ، أو تسابيح فحسب ، بل هو قبل ذلك القانون الأساسى للنظام الاجتماعى الإسلامى ، وكنز العلوم ومرآة الأجيال ، ولاريب أن القرآن الكريم هو الذى مهد لصياغة المنهج العلمى التجريبى ، والنظرة العلمية القائمة على تقدير سنن الله فى الكون والمجتمعات . فقد دعا القرآن الكريم إلى النظر العقلى ، والمحاجة بالدليل ، وإلى حرية الفكر ، واحترام العقل ، وتكوين شخصية الفرد عن طريق البحث والعلم ، ودعا إلى استخدام الإنسان للتفكير والتدبير ، والذكر ، وفتح باب الاجتهاد تقديراً لتغير الحياة . ودعا إلى النظر فى الكون وتدبر آياته وعجائبه . وحرض الإنسان على فهم أسرار الطبيعة ، وكشف ذخائرها المخبوءة .

---

(١) يوسف :٣ .

(٢) الكهف : ١٣.

المسؤولية الفردية

(١)

إن على الشباب المسلم المثقف أن يعرف مسؤوليته كإنسان فى هذه الحياة على النحو الذى أراده له الحق تبارك وتعالى خالقه ورازقه ، وذلك حتى يستطيع أن يمضى فى مسيرة الحياة عارفًا لمسؤوليته الفردية ، والتزامه الأخلاقى ،حافظا لحدودالله، ونظرة الإسلام إلى الإنسان هى أرقى ــ نظرة وفهما ــ من تلك النظريات البشريةالمادية المنحرفة التى طرحتها الفلسفات فالإنسان فى الإسلام أشرف المخلوقات وأسماها تحت حكم الله، وأن الله تبارك وتعالى قد صنعه بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وحمله الأمانة والمسؤولية، وجعله مستخلفاً فى الأرض ، وجعل كل مافى الأرض والسماء فى خدمته، وجعله صاحب إرادة ووجهه إلى العمل والسعى والكسب حتى يحقق إرادة الله فى الأرض ، وليقيم المجتمع الربانى العادل الكريم على أساس الأخوة الإنسانية والرحمة والكرامة ، وإعزاز كلمة الله ونشرها فى العالمين ، وقد سجل الله تبارك وتعالى مهمته فى القرآن واضحة جلية: ﴿**وماخلقت الجن والإنس إلاليعبدون**﴾[١] أى لعبادة الله ، ومعنى العبادة هنا هوالعمل فى نطاق النظام الذى رسمه الحق تبارك وتعالى للحياة والنهج الذى أنزله ليطبقه الإنسان فى الحياة ، وهو الإطار الأخلاقى للاستخلاف فى الأرض والاستعمار فيها .

فالعمل فى الحياة ، والسعى للكسب هوجزء من مهمة الإنسان ، وهوفى نفس الوقت داخل ضمن إطارالعبادة ؛لأنه قائم على الالتزام بشرعة الله فيما أحل وفيما حرم . طريقا وسطًا بين الضوابط والحدود .

وعندما يتجلى أمرمهمة الإنسان فى الحياة ، ومسؤوليته على هذا النحو، فقد انتفى ذلك الإحساس بالقلق النفسى الذى يصدع قلوب الماديين حين تعجزالفلسفات عن أن تهديهم إلى هذه الحقيقة أوحين تصورلهم أن وجودهم فى الحياة هومن أجل الحياة نفسها ، أومن أجل متاعها ، أو أنه صدفة عارضة . وبذلك يعجزوا عن التماس الطريق

(١) الذاريات: ٥٦.

الصحيح .

وهذا هو سر أزمة الفكرالغربى ، والحضارة المعاصرة . وقد نظرالإسلام إلى الإنسان نظرة الفطرة والعقل والعلم ، وهى نظرة إنسانية أساساً ، فهوالمستخلف فى الأرض ، صاحب الإرادة والمسؤولية وهو المسؤول المحاسب المجزى بالثواب أوالعقاب فى بعث جديد بعد أن يموت ويدفن فى التراب ، هذا الفهم من شأنه أن يشكل كل علاقات الإنسان بالله تبارك وتعالى ، وبالناس وبالحياة ويرسم له الطريق المستقيم للسعى والعمل والكسب .

أين مفهوم الإسلام هذا من النظريات المتضاربة ، ومنها مايدعوإلى تقديس الفرد ، واعتباره مركز الكون ، ومنها : مايلغى شخصيته ويعتبره حيوانًا ، ومنها :ما يعتبره مجرد فرد فى القطيع . لقد ارتفعت نظرة الإسلام إلى الإنسان عن التجزئة وعن المادية الخالصة ، وعن الروحية المجردة ، وفهمته على النحو الأصيل الجامع الذى صنعه عليه خالقه: روحا ومادة ونفسًا وجسداً .

لقد كان الفهم الغربى والعصرى يدرس الإنسان وهو مقطوع الصلة بكل الأوضاع التى من حوله . والأجيال من قبله ، ففسرته عن طريق الجنس مرة ، وعن طريق الاقتصاد والانتاج مرة أخرى . وفى كل منها يتقرر أنه لايوجدكيان ثابت للإنسان، أو أنه حصيلة الظروف المتغيرة .

والواقع أن التفسير العصرى للإنسان مادى الوجهة يعتمد على أسلوب العلم التجريبى فى غير مجاله ، ذلك أن الإنسان بغرائزه وطبيعته ومشاعره ليس مادة صرفًا .

ولاريب أن النظرة الغربية تجهل حقيقة الإنسان جهلها لحقيقة الكون ، ذلك لأن هاتين الحقيقتين لم يكشف عنهما غير الوحى . وأن الله تبارك وتعالى هوالذى أعطانا الفهم الصحيح لهما عن طريق الدين الحق ، وماتزال الوسائل المادية قاصرة عن بلوغ ذلك .

وقد كرم الحق تبارك وتعالى الإنسان . وجاء الإسلام ليرد اعتباره ، وليضعه فى مكانه الحق ، وليرفع عنه إصر العبودية الذى ظل مسلطا عليه فى حضارات الرومان والفرس والفراعنة واليهود ، ومن تكريم الله للإنسان تكريمه للمرأة وإعطائها حقها وكرامتها ، ولقد جعل الإسلام عبودية الإنسان لله وحده ودعاه إلى أن يعيش متحرراً لايخضع

ولايذل لأحد مهما كان ؛ لأن الله تبارك وتعالى وحده هو خالقه ورازقه ، وقد جاء الإسلام داعياً إلى كرامة الله للإنسان بالسيادة ، والأمة بالعزة والقوة ، وجعل الاعتداء على كرامة الفرد والجماعة بمثابة تهديد للنظام الإسلامى تجب مقاومته ، وفى هذا قول الحق تبارك وتعالى فى الحديث القدسى : « إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما فلا تظّالموا ».

ومن تكريم الإسلام للإنسان أنه حرم قتل النفس ، وحرم التمثيل بالإنسان بعد قتله ، ولم يقر عقوبة الإعدام للإنسان إلا فى جريمة واحدة هى : جريمة القتل العمد . ومع ذلك فقد جعل لولى المقتول سلطاناً فلا يسرف فى القتل ، بينما كانت عقوبة الإعدام فى أوربا إبان نزول الإسلام تقع فى الزنا والسرقة والكذب ، كذلك جاء تكريم الإسلام للإنسان تكريما ذاتيا بصرف النظر عن دينه أولونه أوثروته أوجنسه.

(٢)

إن فهم النفس الإنسانية جزء من فهم الإنسان . والنفس الإنسانية من أجل ذلك لها مفهوم مختلف فى كل ثقافة وكل نظرية اجتماعية ، وكل فلسفة . وموقف الإسلام منها شأنه فى موقفه من الإنسان . من أرحب هذه المناهج نظرة ، وأوسعها أفقا ، وأعرفها بميول الإنسان وغرائزه ورغباته . وأكثرها للنفس تحريرا ودعوة إلى الخير والهدى والارتفاع عن الدنايا .إن مفهوم الإسلام للنفس يختلف عن المفاهيم التى طرحتها النظريات الوافدة القائمة على إذلال النفس بتحريم الطيبات وكراهة الرغبات ، وسد باب الغرائز .

لقد جعل الإسلام معرفة النفس سبيلا إلى إصلاحها ، وإلى تهذيب الأخلاق ، وكلمة :(اعرف نفسك) التى تطرحها الفلسفات الوافدة كلمة مضلة ، فإن الإنسان لايعرف نفسه إلا إذا عرف ربه . ولذلك كانت القاعدة الإسلامية الأولى : « اعرفوا ربكم تعرفوا أنفسكم » ومن عرف ربه عز ، ومن عرف نفسه ذل ، وتهذيب الأخلاق لايأتى إلا بمعرفة عيوب التى ينبغى على الإنسان أن يتجنبها حتى يسير فى(الطريق المستقيم) .

ويعرف العلماء المسلمون الدوافع الأساسية للإنسان فى أربع : هى شهوات الطعام والجنس والمال والجاه ، وأساس هذه الدوافع كلها غزيرة الطعام ، إذ تتفرع الرغبة الجنسية وحب المال والسلطان منها ، وتسمى هذه الغريزة :شهوةالبطن ، والاعتدال هو الميزان

الصحيح لجميع أنواع السلوك . والخروج من حدّ الاعتدال إلى الإفراط أوالتفريط هومصدرالأمراض النفسية، والعلاج هو العودة إلى الاعتدال الواجب .والغاية من كل سلوك : معرفة الله ، ومراعاة ما أمر به فى كتابه ليهتدى إلى الصراط المستقيم ، واتباع سبل التقوى.

وفى مفهوم الإسلام : أن الغريزة الجنسية قد ركبت لفائدتين :اللذة ، وبقاء النسل . ولشيء آخر أسمى وأرفع . هو أن يدرك الإنسان لذاته.فيقيس إليها لذات الآخرة ، وللشهوة مراحل ثلاث : إفراط ، وتفريط ، واعتدال ، والإفراط والتفريط كلاهما مذموم أما المحمود فهو أن تكون معتدلة ومطابقة للعقل والشرع .

والإسلام ينظر إلى النفس الإنسانية فى إطار (التوازن) بعيداً عن طرفى الزهادة والإسراف ، فهويعارض كليهما .

قدأباح الإسلام شهوة الطعام والجنس ، والاستمتاع بطيبات الحياة.ولكنه وضعها فى إطار يحمى به النفس الإنسانية من الانحراف ، وحفظها لتكون قادرة على التماس طريقها إلى أشواقها الروحية ودون أن يغلق عنها هذا الباب الذى هو أحد بابيها الأصليين . من حيث هى سلالة من طين ونفخة من الروح . والنفس الإنسانية فى مفهوم الإسلام مؤهلة لطريق الخير، وطريق الشر. وأن إرادتها الحرة هى التى تتجه بها إلى أحدهما ، من أجل ذلك جاء الدين الحق عن طريق الوحى (ليهدى) الإنسان إلى أحسن السبل ، وتحذيره من الطرق المنحرفة.

وقد أورد القرآن الكريم ثلاث نفوس هى :مراحل للنفس الإنسانية (النفس الأمارّة، النفس اللوامة ، النفس المطمئنة) .

أما النفس الأمارة فهى التى تمثل الطبيعة البدنية ، وتأمر باللذات والشهوات الحسية ، وتجذب القلب إلى الأهواء .

وأما النفس اللوامة فهى التى تنورت بنور القلب وتنبهت عن سنة الغفلة كلما صدرت عنها سيئة بحكم طبيعتها أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها .

وأما النفس المطمئنة فهى التى وصلت إلى درجة اليقين ، وتحررت من صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة .

وفى كل نفس منطقة للخوف ، ومنطقة للأمان ، يتوازنان فى الحالة السوية ، فإذا طغت إحداهما على الأخرى ، كانت النفس غير سوية ، والإيمان بالله هو مصدر السكينة والطمأنينة والأمن ، فإذا تنكرت له النفس ، وانطلقت إلى الأهواء عاشت فى الخوف والقلق والتمزق حتى تعود إليه مرة أخرى ، وإذا كانت أزمة الإنسان المعاصر الآن هى الخوف والقلق وما أحدث من تدمير خطير فإنما يرجع ذلك إلى أن النفس أنكرت وجودها الحقيقى . وهذه حقيقة من الحقائق التى قررها علم النفس الإسلامى . والمسلم يقف بين الخوف والأمان ، وهما لايستقران فى النطاق المعقول إلا بالإيمان بالله ، ومعرفته هى العاصم من الخوف والإيمان ضياء ونور فهو يبدد ظلمات النفس حتى تطمئن ، والإنسان يخاف مايجهل ، فكلما كان نطاق الجهل كبيراً كان الخوف أعظم . كذلك دعا الإسلام الإنسان إلى أمرين :

اتقاء شح النفس بالإنفاق .

والإنصاف من النفس بالاعتراف بالخطأ .

فإذا استطاع الإنسان التغلب على نفسه كان على غيرها أقدر ، ولن يكون الإنسان قوة فعالة إلا إذا استطاع التحرر من مطامعه وأهوائه ، وتمكن من كبح غرائزه وشهواته .

كذلك دعا الإسلام الإنسان إلى تغيير النفس ، وأن تغيير النفس هو مصدر الانتصار الحقيقى ، فإذا استطاعت الأمة أن تغير نفسها فإنها تصل إلى مرحلة أعظم فى القوة والسيادة : ﴿ **إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم** ﴾ [1] .

ومن أبرز أركان مفاهيم النفس الإسلامية قيام الرقيب والحارس اليقظ فى النفس الإنسانية يذودها عن الشر ، ويدعوها إلى الخير ، وينقلها من الخطأ إلى الصحيح ، ويسمى القرآن هذا الرقيب بالنفس اللوامة :﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ [2] ، وهذا مايسمى فى العصر الحديث بالضمير مع اختلاف عميق فى المضمون بين الاثنين . وقد أودع الله تبارك وتعالى النفس البشرية هذه الملكة : « الرقيب » أو الحارس اليقظ ليحاسب الإنسان على تصرفاته . وقد يؤرق نومه إذا تلكأ فى إصلاح أمره . ولكن هذا الرقيب يبدأ ضعيفا فى

---

(١) الرعد : ١١ . (٢) آل عمران : ١٢٥ .

الإنسان ثم يستطيع الإنسان تنميته وتقويته ، وقد يتركه الإنسان فيضعف عن المقاومة ، وقد يتلاشى أمام التبريرات الوهمية .

وقد دعا الإسلام الإنسان إلى أن يفهم ذاته ، ويفهم الكون ، وما وراء الطبيعة . وذلك من منطلق رسالة الدين الحق . أما فكرة اكتشاف الفرد لنفسه بغير معين أودليل أو علم أصيل ، فإنها وسيلة إلى تدميره .

ولقد هدى الدين الحق الإنسان إلى مكانه فى الكون ورسالته ومسؤوليته وأمانته ، وعلّمه فهم العلاقة بين العوالم الثلاث : عالم الطبيعة ، وعالم الإنسان ، وعالم الغيب . ودعا إلى الحذر من أن تبهره الكشوف الطبيعية ، فإن فى نفسه ماهو أدق من ذلك صنعا ﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [1] . وكذلك أعلن الإسلام وحدة النفس البشرية ، فهى من أصل واحد ، ووحدة الإنسان جماعًا بين الروح والجسم ، ووحدة الحياة جماعاً بين الدنيا والآخرة ، وأرسى التوازن بين النفس الإنسانية والجماعة ، وحددعلاقة الإنسان بنفسه ، وبالإنسان وبالجماعة . وأشاع روح الطمأنينة إلى فضل الله ، والأمل فيه وبه ، وبذلك ألغى فكرة التشاؤم والقلق التى تسود الفلسفات الغربية نتيجة الانشطارية فى اعتماد التفسير المادى وحده ، بينما الإسلام يقدم للبشرية تغيرا جامعا متكاملا يختلف عن النظرية الروحية الخالصة والنظرية الغربية المادية وكلاهما ناقص .

(٣)

ومن اكتمال مفهوم الإسلام أنه عقيدة وشريعة وأخلاق ، فالعقيدة هى الصلة بين الإنسان وربه . والشريعة هى الرابطة بين الإنسان ومجتمعه . والأخلاق هى الطابع الذى يطبع العلاقات ، والروابط كلها بطابع الالتزام ، فالإنسان فى الحياة مكلف ، وله أمانة ورسالة ، وله حرية الإرادة التى تحكم عمله ، وتكون مناط الجزاء (وهى حرية نسبية) ومنها الالتزام الأخلاقى الذى هو أبرز معالم المسؤولية الفردية ، وهو التزام من الإنسان فى مواجهة البشرية كلها .

والأخلاق فى الإسلام تقوم على قاعدة « التقوى » بمعنى الاتقاء والامتناع عن كل

---

(١) الذاريات : ٢١ .

ماحرمه الله . فالتقوى هى السلوك المقابل للفجور والإباحية ، والتقوى صفة عامة لكل أعمال الإنسان فى مختلف المجالات ، فهى دعوة إلى العمل مع ضبط الموازين ، وليست دعوة إلى العزلة والنسك والانفصال عن المجتمعات ، وهى عمل بنّاء ، ومفهوم بالغ الإيجابية والقوة . ويربط الإسلام بين العقيدة والأخلاق ، فهما حقيقتان لاتنفصلان ، والقرآن الكريم أصل الأخلاق الإسلامية ، وليس فى الإسلام إنفصال بين الكلمة والسلوك العملى ، والصلة بين العقيدة ، والأخلاق عميقة جداً حتى إنها لتبلغ حد التوحد بينهما ، فالعقيدة وسيلة لتكوين الخلق والأخلاق مستمدة من العقيدة ، ولاغنى لصاحب الأخلاق عن عقيدة تسمو على مطالب الحياة الدنيا .

وفى ربط الإسلام بين العقيدة والأخلاق مفهوم مميز وواضح الاختلاف عن النظرية القائلة :بأن الأخلاق تختلف عن الدين ، أويمكن أن تنفصل عن الدين ، وتنمو بمفردها ، أوالقول بأن غير المتدين يمكن أن يكون أخلاقيا ، وكذلك فهو دحض للنظرية التى حاولت أن تقول : بأن الأمم ليست فى حاجة إلى الدين ولكنها فى حاجة إلى الأخلاق .

والأخلاق فى الإسلام طابع يطبع كل جوانب الحياة والفكر ، له سلطانه وأثره فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والأدب والقانون ،وأخلاق الإسلام ليست « مثالية » بمعنى أنها نظرية فوق التطبيق ، فالأخلاق فى الإسلام منهج علمى ، وليست نظرية وهى تقوم على مبدأى الالتزام والجزاء الأخروى ، وتستمد وجودها من حرية الإنسان ، وإرادته فى الاختيار ، وتحمل المسؤولية .فالفرد مسؤول عن عمله .

وتتسم الأخلاق الإسلامية بسمة الثبات ، وثبات الأخلاق من ثبات القيم العليا التى قدمها الإسلام فى إطارات واسعة ، ولم يسمح بتجاوزها ، وإن أتاح فرصة الحركة داخلها فى ظل الضوابط والحدود التى جاءت سمحة يسيرة ، بتقرير عامل الزمن ومراعاة الظرف والوسع والطاقة والتوبة ، وهنا تتمثل وسطية الإسلام وواقعيته فى ارتباط المطلق بالنسبى والمثالى بالواقعى .

ومن نقطة ثبات الأخلاق يتبين الفارق بين الأخلاق والتقاليد ، فالأخلاق ثابتة ، لأنها جزء من الدين الموحى به ، وهى وبذلك شطر كيان متكامل ربانى المصدر، إنسانى الهدف. أما التقاليد فهى وسائل عارضة ـ من صنع المجتمعات لامن روح الدين ـ تختلف وتتغير باختلاف الزمن والبيئة. ولما كان بعض الباحثين تنطلق نظرته من الفلسفة المادية التى لاتؤمن

بالوحى والنبوة ، فإنه يشتبه عليه الفارق الدقيق بين الأخلاق التى هى جزء من الدين والتقاليد التى هى من صنع البشر ، ومن الحق أن تتغير التقاليد كلما فسدت ، ولكن ليس من الإمكان أن تتغير الأخلاق ، ذلك لأن القيم الأخلاقية إنما تقوم على أسس ثابتة : كالحق والعدل والخير . وهذه القيم لها مفاهيمها التى عرفت بها منذ جاءت الأديان ، ومازال وستظل .

وقد ربط الإسلام بين مفهوم الأخلاق ، وبين التطبيق العلمى ، ورسم للناس قواعد العمل الصالح الذى ينبغى أن يسيروا عليها استمداداً من القرآن والسنة .

وغاية الأخلاق الإسلامية : الاستقامة على أمر الله ، وتغليب الفرد حاجة الناس على حاجته بالإيثار ، فإذا تعارضت المصلحتان ضحى الفرد بنفسه فى سبيل الجماعة ، والتوسط والاعتدال فى الإنفاق ، وفى ممارسة الحلال دون إفراط أو تفريط ، ومن شأن الأخلاق أن تغير موروث الإنسان ، وأثر بيئته ، وإن تمكنه بالإرادة والعزم والتقوى ، وبأن يتحول عن الطمع والبخل والشح والكبر والإسراف ، إلى السماحة والعطاء والتواضع والبذل والرحمة . فكل موروث فى نظر الإسلام يمكن تغييره ، ولاتستطيع البيئة أو الوراثة أن تفرض على الإنسان مايجعله مجبوراً أو أسير لخطأ أو فساد .

ذلك أن الإنسان سوف يحاسب على عمله ، ولن تكون آثار البيئة والوراثة شافعاً له عن الانحراف ، والإنسان فى إطار العقيدة قادر على تغيير أخلاقه ، والتحول إلى الأسمى والأعلى . فمن شأن دين الله أن يرتفع بالإنسان ويسمو به ويغيره ، ويحوله خلقاً جديدا ، وتلك مهمة الأخلاق الإسلامية ، ومن الخطأ القول : بأن الإنسان يولد وتولد معه أخلاقه.

ذلك أن الإنسان بالإسلام قادر على التحول إلى الأحسن بإرادته الحرة وخشيته لله ورغبته فى حسن الجزاء ، ومن شأن التربية الإسلامية والقدوة والإيمان أن تحدث هذا التحول ، والالتزام هو دعامة الأخلاق الإسلامية الكبرى ، وزوال فكرة الالتزام تقضى على جوهر الغاية التى تحققها الأخلاق فإذا انعدم الإلزام انعدمت المسؤولية . وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل فى وضع الحق فى نصابه وإقامة العدالة ، ويفسر القرآن مصدر «الالتزام الخلقى » على هذا النحو . إن النفس الإنسانية قد عرفت فى تكوينها الأول معنى الخير والشر : ﴿ **ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ [1] كما ألهم الإنسان طريقى الفضيلة والرزيلة ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ [2] ومن شأن الطبيعة الإنسانية أن تندفع

(١) الشمس :٧، ٨ .
(٢) البلد : ١٠ .

نحو الشر ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ (١) ولكن الإنسان قادرعلى أن يكبح جماح شهواته، وفى مقدور كل إنسان أن يغالب نفسه فيغلبها، وهناك من يتيسرلهم ذلك ، وهناك من يجدون مشقة فيه، ولكن هناك عنصرهام هو« عون الله تبارك وتعالى لمن يستعين به» ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ (٢) .

ومعنى هذا أن فى الإنسان قوة كامنة تهيئ له النصح والتوجيه ، وتضيء له الطريق، وتحدد مايجب عمله ومايجب تحاشيه ، هذه القوة تنمو بالإيمان والتقوى حتى تصبح قادرة على أن تردالإنسان عن الشر والباطل والظلم ، وهذه القوة هى العقل الذى هو مناط التكليف فى الإنسان ، والسلطة الشرعية الواحدة ، فإذا فقد الإنسان العقل أصبح غير مكلف وغير مسؤول .

ولذلك فإن الإسلام يدعونا إلى تزكية النفس ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ (٣) حتى تستطيع أن تواجه الخطر وتتجاوزه ، والأمر يتوقف على مدى استخدامنا للقوى العليا التى أودعها الله تبارك وتعالى إيانا ، وتنمية هذه القوى وتزكيتها ، والقرآن الكريم يدعونا بعد إيقاظ قوانا العقلية إلى إيقاظ مشاعرنا النبيلة ، بشرط أن تعمل تحت رقابة العقل ، وهو يدعونا لأن نزن الأمور بميزانها الصحيح قبل أن نحكم على قيمتها ، هذا الالتزام هو أخطر مافى المفهوم الأخلاقى الإسلامى .

---

(١) يوسف :٥٣ .　　(٢) الفاتحة : ٥ .　　(٣) الشمس :٩.

بناء الشخصية المسلمة

إن أبرز مايجب أن يكون موضع تقديرالشباب المسلم هو :

أولاً: تحديد الوجهة ، وتأكيد الهوية ، والإحساس بالمسؤولية والتبعة التى تتمثل فى الأمانة التى حملها الإنسان فى هذه الحياة ، وذلك أنه لابد أن يكون لكل مسلم هدفًا واضحاً محدداً يتمثل فى اختباره لأداء دوره فى الرسالة الإنسانية التى كلفه الله تعالى بها وخير هدف : أن يكون الإنسان ربانيا خادماً لربه فى أداء واجبه بالحق ،يخرج نفسه كل يوم من أنانيته وفرديته إلى الغيرية الجماعية ، متصدقاً بماله ووقته وجهده فى سبيل رعاية من هم فى حاجة إلى الرعاية سواء بالصدقة ــ وأقل الصدقة كلمةطيبة ــ أوحسن التعامل مع من يتصل بهم فى شراء أوبيع أوتعامل ، وليذكر تلك الحكمةالعالية فى حديث رسول الله ﷺ : « كل امرئ يغدوفبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » .

فعندما يبدأ الإنسان يومه فإنما هو داخل فى خضم هذا المجتمع الحافل بالرغائب والأهواء ، فعليه أن يحدد وجهته،فإن كانت لله تبارك وتعالى فقد حسنت الوجهة واستقامت على طريق الله .إن تحديد الوجهة بالعمل لله تبارك وتعالى تجعل الحياة رخية رضية حتى لوكانت فى أشق المشاق ، وأتعب المتعاب ؛ لأن خلوص الوجهة لله يخفف من مشقتها وضجرها ،ولاشىء يعين على صدق الوجهة إلى الله تبارك وتعالى فى أى عمل يعمله الإنسان غير الإيمان بالله تبارك وتعالى ، والثقة وقبول أمره كله، سواء أكان يوافق هوى النفس أم يعارضها ، سواء أكان بالعطاء أم بالمنع،فإن الثقة فى أمرالله تملأ القلب بالسكينة ، فليس العطاء المادى هو مقياس رضاء الله ، فذلك هو متاع الدنيا الزائل ، والله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لايحب ، ولكن عطاء الله تبارك وتعالى هو مضمون العمل وروحه، هو تلك الرحمة الخفية فى الأمور والبركة السارية فى القليل ، والحماية الدائمة من الأخطار ، ولاشىء يعمق الإيمان بالله تبارك وتعالى غير أداء الفرائض ، وأعظم الفرائض الصلاة ، فالصلاة أم العبادات وأكبرها قدراً ، وهى منطلق الاتصال بين الله والعبد وبخاصة إبان الأزمات .

ومن فضل الصلاة أنها تنمى ملكة حصر الذهن ، وتقوية النفس ، وهى أصدق

الأساليب التى سنها الإسلام لتربية رجاله وأهله ، وإحكام الرابطة بين الإنسان وربه خمس مرات فى اليوم والليلة مما يجدد هذه الصلة ويصقل النفس ، ويملؤها بالطمأنينة والرضا ، وقد وصفها رسول ﷺ بأنها : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة » والصلاة من وسائل إعداد المسلم ليكون أهلا للحياة فى العالم الآخر وفى الجنة ، وأن توقيت الصلاة له حكمة عليا لها ارتباط بعوامل خاصة بهذه الأوقات مما فضله الله تعالى ، وأعد الإنسان ليتقبل فيها نفحات معينة واستعدادات خاصة تؤهله للحياة فى العالم الآخر ، والصلاة فى نظر الإسلام رباط دائم يصل العبد بربه ، وهى أكبر وسائل الاستعانة بالله تعالى على الشدائد ، وحاجز عن الفحشاء والمنكر ، وهى تتسم بشرطين أساسيين : الفرضية المسجلة على العباد ، ثم الأداء فى الوقت المخصص المحدود المعلوم ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتًا** ﴾ (١) .

ولاريب أن فرائض الله تبارك وتعالى هى مصادر الإيمان ، ومنطلق انفتاح أبواب الرضا والمغفرة ، ولها جميعا ميزاتها الكبرى : فالصلاة زكاة النفس ، والصوم زكاة البدن ، والزكاة زكاة المال ، والحج فريضة المجتمع ،ولاريب أن الإيمان يحرر النفس المسلمة من المطامع والأهواء ، وهى أخطر الأخطار التى تحول بين الناس وبين الربانية ، وبين الإخلاص فى العمل لوجه الله تبارك وتعالى .

ثانياً : إن الأمر الآخر القوى الأثر فى بناء الشخصية المسلمة هو : « القدوة » ، وليس للمسلمين من قدوة أعظم من رسول الله ﷺ : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ (٢) .

وعلينا أن نطالع هذه السيرة العطرة ، ونتمثل ذلك النموذج الحبيب الأمثل ذلك النبى الكريم الذى شرفنا الله تبارك وتعالى بأن جعلنا من أمته ، والذى جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بعد أن ادلهمت الأحداث .

والحق أن حياة الرسول ﷺ وكلماته ، إنما هى التجربة الكبرى والعبرة العظمى التى يجب أن ننظر إليها دوماً ، ونحاول أن نقترب منها ، فإذا لم نستطع أن نصل إليها ـ وهذا طبيعى ـ فلا أقل من أن نجد فيها الهدى والتوجيه .

---

(١) النساء : ١٠٣ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

وتعطينا سيرة الرسول ﷺ كل ماينبغى فى أى وجهة أردنا ، فهو يعطينا النموذج الأعلى للإنسان بعامة وللعامل بخاصة ولبطل الحرب ولمصلح المجتمع ، وللكاتب والباحث، والساعى فى خدمة الناس وقضاء مصالحهم ، وفى الناصح لهم والموجه ، ومامن مسلم له مهمة أو مهنة فى الحياة الدنيا إلا واحد فى سيرة رسول الله ﷺ هداه .

هذا المثل الكامل الذى يخطف القلوب ، ويهز النفوس ، ويملأ القلوب بالإعجاب والتقدير والإعزاز ، ونحن مطالبون بأن نهتدى بهديه ، ونقتفى أثره ، ونكون على سنته، ونتمثل به فى صلاتنا وعبادتنا ولباسنا ونومنا وحركتنا وعملنا كله ، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله ، ولاتستطيع أن تتصور منهج الإسلام الذى جاء به القرآن الكريم إلا ممثلا فى نموذج حى صادق هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ الذى أكرمنا الحق تبارك وتعالى بأن حفظ لنا دقائق سيرته وشمائله وتصرفاته وأعماله ، لتكون نوراً لحياتنا ،وهدياً لمسيرتنا فى الحياة .

ثالثاً: إن المسلم مطالب بأن ينمى شخصيته وثقافته بمعرفة ماحوله من تحديات سواء فى مجال عقيدته ، أوفى مجال الفكر الإسلامى ، أو فى مجال المجتمع الإسلامى ، والهدى الأصيل فى هذا هو القرآن الكريم ، وسنة الرسول ﷺ .

ذلك المصدر الأول الذى يرجع إليه فى كل أمر وفكر ونظر وحقيقة فى عالمنا ومجتمعنا ، فهو الهادى والسراج المنير الذى ينير الطريق ،والدليل الذى يهدى لأقوم السبل، وهو العصمة من الأزمات المدلهمات ، والرشاد لكل ملمة أونكسة أنزله الله تبارك وتعالى عربيا غيرذى عوج ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحفظه من الزيف والتناقض، فهو النص الموثوق ، والوثيقة الخالدة ، والسنة النبوية الشريفة هى شقيقة القرآن ، وضياء من ضيائه فيها تفصيل المجمل ، وسبيل الهداية .

ومن طريقهما يبدأ الشاب المسلم رحلته إلى معرفة دينه ، ومعرفة دنياه مشاركا فى بناء المجتمع حريصا على ذاتيته الربانية القرآنية من أن تفسدها تلك السموم المهومة فى كل مكان تحت اسم الفكر البشرى أو العصرى ، وعليه أن يحصن نفسه بفهم تلك التيارات الهدامة ، والدعوات الوافدة حتى لا يقع فى أخطارها .

ولاريب أن الفكر الإسلامى مصدره القرآن والسنة ، وهو فكر له طابع خاص متميز ؛ لأنه يصدر عن التوحيد والعدل والرحمة والإخاء البشرى ، ويقوم على نبوة محمد ﷺ ، وعلى دعامة القرآن : كتاب الله المنزل ، ودعامة ذلك كله : الإيمان بالإسلام كبناء ونظام مجتمع وحضارة .هذا المعنى من شأنه أن يكون إسلامى الفكر والوجه ، وأن لاتتمكن الدعوات الضارة من الدخول عليه تحت أى عنوان .

وعلى المسلم أن يعلم أن هناك محاولة مستمرة لتفريغ الفكر الإسلامى من جوهرة ، وإحتوائه وصهره فى بوتقة الأممية العالمية ،وذلك لإخراج المسلمين من مفاهيم دينهم وقيم قرآنهم ، وروح عقيدتهم ،وهذه المحاولة هى مايسمونه (التغريب والغزوالثقافى) يستهدفون به إلقاء بذور الشك والشبهات حول حقائق الإسلام ، وعظمة الإسلام ، وحول مكانة القرآن ، وشخصية الرسول الكريم ، واللغة العربية .فعلينا أن نكون فى يقظة تامة إزاء هذه الأخطار ، وتلك هى رسالة عصرنا التى نحن مطالبون بالقيام بها. ولاريب أن كل أزمات شبابنا ، والتحديات التى تواجه فى هذا العصر ترجع إلى تلك السموم المدسوسة حول البرامج الثقافية ، أو المناهج الدراسية ، أوما تلقيه أجهزة الإعلام أو الأفلام السينمائية وغيرها من أقطار وافدة تختلف اختلافا كبيرا عن مفاهيمنا الإسلامية الأصيلة .

وغاية مانطمع فيه أن نحافظ على وجهتنا الربانية الخالصة ، وقدوتنا برسولنا ﷺ ، وأن نتحرر من هذه التبعية الضالة ، وأن نحتفظ بذاتيتنا الإسلامية الخالصة التى بناها القرآن الكريم ، والتى جعلها الله عدتنا لنشر كلمته ، وحمل لواء رسالته إلى العالمين .

وفى سبيل بناء الشخصية الإسلامية لابد من ثلاث حقائق هى دعامة الأمر كله :

الحقيقة الأولى: إن أول مانقوله لشبابنا المسلم إن طريقنا :« طريق الإسلام » هوطريق الله الحق ، وهودين الله الخالد أرسل به تبارك وتعالى رسولنا محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة ، وأقام كتابه (القرآن الكريم) حجة على العالمين كتاب الإنسانية بعد أن دخلت مرحلة نضجها واستعدادها لحمل رسالة الإنسانية والعالمية ، وقد جاءت دعوة التوحيد الخالص منذ جاء آدم أبوالبشر، ومن ثم عاشت البشرية فى معركة دائمة بين التوحيد والوثنية ، فإذا انحرفت أعادتها رسالة السماء مرة أخرى إلى التوحيد .

ثانيا: ميدان الفكر والثقافة

(١)

إن هناك شبهات كثيرة مثارة فى مجال الفكر والثقافة نتيجة تلك النظريات الوافدة التى دخلت إلى أفق فكرنا الإسلامى عن طريق المدرسة أو الصحافة أو الثقافة ، وخاصة فى مجال النظريات المادية ، والفلسفات ، ونظرية التطور ، ونظرية فرويد وسارتر ، وركام الفكر الباطنى والوثنى . ولقد طرحت هذه النظريات أفكاراً سوداء مظلمة وَرُؤى ضالة أخرجت الإنسان الغربى إلى طريق مسدود . وأحلت بالمجتمعات الغربية أزمة شديدة الخطر ، هى أزمة الأغلال والقلق والتمزق .

وقد نقلت هذه الأفكار إلى أفق فكرنا على أنها علوم وحقائق بينما هى لم تكن فى الواقع أكثر من نظريات وفرضيات ووجهات نظر ، ولقد غلب الفاسد منها على الصحيح، وكان من وراء استشراء الفاسد قوى تهدف إلى تدمير المجتمعات ، وتحويل الإنسان من طبيعتة الجامعة بين المادة والروح إلى حيوانية مندفعة نحو الشهوات والتحلل ، ولذلك فقد كان من أول ما تدعو إليه اليقظة الإسلامية أن تتعرف إلى هذا الخطر ، وأن لا يقبل بهذه الأخطار ، وأن تعرف أن لدينا فى ثقافتنا الإسلامية الواسعة ما يحفظ لنا مفاهيمنا الأصيلة ووجودنا الصحيح ، ومنطلقنا الربانى المصدر ، الإنسانى الوجهة .

إن الفكر الغربى حين انفصل عن الدين ـ المسيحية ـ بعد أن توقف أمام تقدم العلوم التجريبية ، ودار الصراع بينهما ، أراد أن يتخلص نهائيا من الدين ، فأنشأ ما أطلق عليه اسم الفلسفة المادية أو النظرية المادية . وهى نظرية باطلة ؛ لأنها تقوم على مفهوم المادة وحدها ، وترى أن جميع ما فى الكون مؤلف من المادة ، ولا وجود لشىء غير مادى فى هذا العالم، وكل المذاهب المادية ترى أن المادة هى الوجود الأول للأشياء ، وهى بهذا تعارض حقائق الفطرة والطبيعة والعقل والدين ، وهى شأنها من الخطأ شأن المذهب الروحى الذى لايؤمن إلا بوجود الروح ، أو مفهوم العقل عند العقلانيين . كما تعارض النظرية المادية الفلسفة المثالية التى ترى أنه بالعقل يمكن تفسير سلوك المادة ، وتفهم حالتها وأوضاعها ، وترى النظرية المادية أنه ليس فى العالم الملموس خواص ثابتة . لذلك فلا يمكن وجود مفاهيم ثابتة، ولا قوانين قطعية ، ولا تؤمن الفلسفة المادية بالدين ، وهى ترى أنه نظام من وضع

البشر، ولا تؤمن بحياة أخرى بعد هذه الحياة ، وهى تنكر عالم الغيب (عالم ما وراء الطبيعة).

والمعروف أن العلم الحديث نظر فى المحسوسات والماديات ، وقطع شوطًا كبيرًا من الانتصارات ، فلما تعرض لما وراء المادة عجز بأدواته القاصرة عن تحقيق أى نجاح ، ومن ثم أغفل هذا الجانب ، وحاول تعليله ماديًا ، وقد ظهرت النظرية المادية فى مواجهة دعوة عنيفة إلى الروحية الخالصة ممثلة في الزهد والرهبانية ، وإنكار حق الحياة ، وقسر الرغبات البشرية فى الغرب ، وقد جاءت ردًا عنيفا على تفسيرات الدين ، ومعارضته لكل ما قدمته هذه التفسيرات ، ومن ثم اعتبر المذهب المادى دينا جديدًا ، وهو ما أطلق عليه دين البشرية ، وإذا كان هذا هو شأن الغرب فإننا في عالم الإسلام لا نجدنا فى حاجة إليه ؛ لأن ديننا جامع بين الدين والدنيا . والروح والمادة ، والعقل والقلب ، وهو دين لم يقف أمام تقدم العلم بل هو الذى صنع تقدم العلم ، وكان المنهج العلمى التجريبى من عطائه .

أما من حيث أنه لا يوجد فى الكون غير المادة ، فهو قول مردود بالنظرة الفاحصة ، والتأمل الرصين ، فإن العالم الذى يحيط بنا - الطبيعة والمجتمع - يقدم لنا عدوًا لا نهاية له من الظواهر المتنوعة تنوعًا لا نهائيًا ، والتى يمكن أن تتنوع على وجوه مختلفة ، هناك أشياء كثيرة لا نستطيع أن نراها ، وأن نلمسها ، أو أن نقتبسها ، ولكنها أشياء موجودة مثل أفكارنا وعواطفنا ورغباتنا وذكرياتنا ، ونحن نسمى هذه الأشياء فكرية لنعد بذلك عن كونها غير مادية ، وهكذا ينقسم كل ما لدينا فى الوجود إلى مجالين : مادى ، وفكرى . والواقع يقدم لنا وجها ماديا ووجها فكريا ، كذلك فالعمل قبل أن نبدأ به ليكون عملا محسوسًا فهو فكر ثم إرادة ،كذلك فإن بجانب المادة فى جسم الإنسان شىء آخر غير الروح ، فإذا خرجت الروح من الجسد لم يصبح هو الإنسان ، بل أصبح جسدًا ميتا ، فالروح والنفس والفكر قوى لها حركتها وعملها كالمادة تمامًا ، ولا يمكن الفصل بين المادة والفكر ، وبين المادة والروح وإن فصلت بينهما الفلسفات الغربية ، ولا سبيل للقول بسبق المادة على الروح ، أو المادة على الفكر أو العكس ، وإنما هى دورة مستمرة مُطّردة ، والإسلام لا يضع (المادية) فى مقابل (المثالية) ولا يقف عند هذا القطب أو ذاك القطب ، ولكنه يجمع بينهما ، ويمزجه مزجا دقيقًا متكاملا ، كذلك فليس صحيحا ما يقال من أن المثالية والمادية يؤلفان تناقضا أو يتنافيان . فالإنسان مادة وروح ، فلا تعارض بين المادية والمثالية ولا تناقض ، وليس هما ضدين لا ينفصلان ، وليس كل ما تقدم المادية تأخر للمثالية

أو العكس .

ولا سبيل إلى إنكار الحقيقة الإسلامية التى تقرر أن للكون غاية مقصودة هى خير البشرية ، وكذلك ليس هناك ما يؤكد أن شيئا من هذا الكون يقع بطريقة عشوائية ، وإنما يجرى كل شىء فيه وفق تقدير دقيق محكم ، وليس من حادث يحدث دون غرض يخدمه سواء أكان خفيا أم ظاهراً .

وكل ما فى عالم الإنسان ، وما فى الكون بأسره يجرى وفق تقدير مسبق لا يحيد عنه، وكل حدث يجرى بقضاء وقدر لا يردان ولا يقهران ، فالغائبة إنما تعنى الحكمة التى ارتآها وقدرها الخالق تبارك وتعالى ، وأجرى حوادث الكون بمقتضاها . فقد أوجد الإنسان لغاية ، وركب الكون لغاية ، وليس سبيل عن طريق العلم أو العقل أو الفطرة لقبول ما يقول الماديون من أن الكون جاء عن طريق المصادفة ، وأنه لا هدف له ، ولكن لهذا الكون هدف وغاية ، ولوجود الإنسان على ظهر الحياة مهمة ، وخلق الكون وخلق الإنسان إنما يقتضى الاعتقاد بوجود قوة خارج هذا الكون خالقة ومدبرة هى التى رسمت ، ومازالت ترسم وتخطط مصير الكون والإنسان لحظة بعد لحظة .

أما القول بسيطرة القوانين الطبيعية واطرادها واستمرارها . فهذا قول قاصر ؛ لأن هذه القوانين ليست من صنع نفسها ، وليست مصادفة ، ولو كانت كذلك لما جاءت بمثل هذه الدقة ، وهذا الاستمرار العجيب ، ولكنها من صنع الخالق القادر المدبر ، وصاحب هذه القوانين وخالقها ، وهو القادر على خرقها وتعطيلها متى شاء وفى أى وقت يشاء ، فلا سبيل إلى القول بجبرية استمرار القوانين ، ذلك أن معنى استمرار القوانين أن تكون الحياة البشرية معادلة معروفة محسوبة ، وهذا مالم يحدث قط ، والمتابع لسير الحياة والتاريخ ، وواقع الأمم والكون يعلم أن قدرة الله غيرت القوانين ، وحققت نتائج لم تكن متوقعة من اطراد القرانين ، كما أنها أوقفت نتائج منتظرة ؛ ذلك لأن الله هو خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل ، والمسلم يؤمن بأن الله سبحانه بيده الخلق والأمر .

(٢)

إن على الشباب المسلم أن يعرف كيف استعلى العلم فى العصر الحديث ، فظن أنه يستطيع أن يقيم منهجا للحياة والمجتمع دون حاجة إلى الدين ، وقد جاء ذلك بعد أن تقدم العلم فى كشوفه ، واختلف مع رجال الدين فى الغرب هنالك حاول العلم أن يستغنى عن

الدين ، ثم حاول أن يصنع دينًا جديدًا . هو الدين البشرى غير أن العلم الذى أصابه الغرور الشديد حين أعلى مفاهيم المادة والعقل ، وأنكر الجوانب الأخرى فى الحياة الإنسانية كالألوهية والغيب والوحى والنبوة ، والأمور المعنوية والروحية ، قد شق طريقا صعبًا ، شديد الصعوبة ، فقد حاول الماديون تفسير الحياة تفسيراً ماديًا صرفًا ، وبلغ الإيمان بالعلم درجة كبرى حتى وصفه بعضهم بأنه سينقذ الإنسانية ، وأن العصر الذى يسود فيه العقل وتصل فيه الإنسانية إلى الكمال آت لا ريب فيه ، ومن ثم قام مفهوم مسيطر ، هو أن العلم كل شىء ولا شىء غيره ، وأنه هو الذى ينظم المعرفة على اختلاف أنواعها .

غير أن العلم لم يلبث أن تبين له بعد أن قطع أشواطًا طويلة أنه ليس قادرًا على الإجابة على كثير من الأسئلة، وبخاصة معرفة كنه الأشياء ومصادرها وغاياتها ، ومن ثم فقد تقرر بصورة عامة أن العلم لا يفسر الأشياء ولا يعللها ، ولكنه يصفها ويقررها ، وخفف العلم من غلوائه فى نظرتة الأولى التى كانت فى أذهان الأوائل ، وهى تفسير الوجود ، وتخلى العلم عن الإجابة عن (لماذا) بعد أن تبين للعلماء عبث هذه المحاولات ، وعقم نتائجها ، وترك العلم للفلسفة مهمة البحث عن العلل النهائية للوجود ، وقرر العلماء أن العلم إنما يقدم مجموعة من الفروض الظنية لتفسير الطبيعة ، وأن هذه الفروض تتحول بالتجربة إلى قوانين ، كما يقرر العلماء أن العلم لا يفسر شيئًا ، وإنما هو يربط وينسق ويلاحظ ملاحظة منهجية ، وبالتالى يصف ويقرر ، وليس هذا فهما للأشياء ، ولكنه تعرف عليها ، وقرر العلماء أن العلمية تقتصر على ظواهر الطبيعة ، وأعمال البشر وعلاقاتهم التى يمكن أن يستخدم المشاهدة والتجربة لاكتشاف قوانينها . ومن ثم فقد وصل العلم إلى تقرير أن العقل البشرى لا يستطيع أن يدرك شيئًا إلا عن طريق الحواس ، ولذلك فكل ما يقع وراء الحس والعقل ، فلا يمكن للعلم أن يبحث عنه ، أو يعرف عنه شيئًا .

كذلك فقد تقرر أن حقائق العلم ليست مطلقة ، ولا أبدية ، بل هى تقرر الحقيقة النسبية ، وما يزال البحث العلمى صراع بين الإنسان والطبيعة ، فكلما ازداد الإنسان معرفة لقوانين الطبيعة ازدادت سيطرته عليها ، ومازال العلماء يتساءلون : هل يستطيع العقل أن يدرك الحقيقة ؟ لقد قطع أشواطا بعيدة خلال ثلثمائة سنة فهل استطاع الوصول إلى الحقيقة ؟ كذلك فإن العلم مازال يجهز الإنسان بأفظع وسائل الفتك والتدمير ، ورغم تقدم العلم ، فالعالم مازال عاجزًا عن حل المشاكل الكبرى المتمثلة فى أصول الكون ونهايته وطبيعة المادة ، ومنشأ الحياة ، وخلود الروح ، ومعنى كل هذا للمثقف المسلم أن

الدين ضرورة ، وأنه هو الذى يستطيع أن يقول الكلمة الحقة في كل ما عجز عنه العلم ، وقد قالها منذ أربعة عشر قرنًا ، وحدد للإنسان عالم الغيب وحقيقة الوجود ومهمة الإنسان ، وأعفاه من هذا البحث الذى لا يستطيع أن يصل منه إلى طائل ، وأبقى له جانب واحد ، وهو جانب العلم التجريبى مع المادة ليتمكن من تحقيق رسالة وجوده على الأرض، وعمرانها ، وكسف ذخائرها ومطمورها .

(٣)

ولقد كانت نظرية التطور التى جاء بها (دارون) هى أول نقاط تحول العلم الغربى إلى المادية ، وسيطرة المفهوم المادى على الاجتماع الإنسانى ، فلقد كان دارون : يرى أن جميع الكائنات الحية التى كانت تعيش على الأرض قد نشأت من أصل واحد ، أو عدة أصول ، ولم يزعم دارون : أن الإنسان قد انحدر من القرد مباشرة ، ولكن من نوع من الكائنات أقل مرتبة من الإنسان ، ثم اجتاز مرحلة تطور فائقة ، اكتسب فيها القامة المعتدلة والعقل .

ولا ريب أن ما قدمه دارون : لم يكن إلا مجموعة من الفروض النظرية ، وبالرغم من أن ما قاله دارون - كنظرية - قابل للنقض والمعارضة ، فقد حورتها الفلسفة إلى ظاهر اجتماعية هى (التطور الاجتماعى) ، غير أن مفهوم دارون لم يكن علميا ، ولم يكن موازيا للفطرة ، وكشفت أبحاث العلماء بأن الإنسان مخلوق فريد من الناحية البيولوجية ، ومن النواحى العقلية والنفسية ، وأنه فى هذا يتميز تميزًا واضحًا عن الحيوانات .

وقد تبين من الحفريات والأبحاث التى أجريت أن الإنسان لم يتطور قط إلى كائن آخر ، ومازال هو الإنسان الذى وجد منذ عرف بصورته هذه ، وقد مرت عليه عشرات الآلاف من السنين .

ولا ريب أن هذا الثبات ينفى القول بتطوره قبل ذلك إلى صورته الحالية ، وكذلك ثبت بطلان نظرية الاستعمال والإهمال ، وقد قام أحد العلماء فأخذ فئرانا فقطع أذنابها بمجرد ولادتها ، واستمر فى ذلك حتى الجيل الثانى والعشرين ، فلم تحدث حادثة واحدة أن ولدت فأرة بغير ذنب .

وقد توالت فى السنوات الأخيرة الكشوف والحفريات التى وجدت عديدا من العظام والجماجم التى ترجع إلى ما يقرب من خمسة عشر مليونا من الأعوام فى جزر جاورة

وكينيا وروديسيا والصين ، وقد وجدت جماجم وعظاماً ترجع إلى مليون وستمائة ألف سنة ، وكلها تؤكد تأكيداً علميًا بأن الجنس البشرى ينتمى إلى فصيلة أخرى غير فصيلة القرد .

ويتبين أن الإنسان منذ القديم يتميز بارتباط عاموده الفقرى بقاع الجمجمة ، ويؤكد أنه كان قادراً على المشى كالإنسان الحالى تماماً . ولم تكن له صفة الوحش المعتدى ، وهذا يدحض نظرية دارون : فى أن الصفات العدوائية فى الإنسان ترجع إلى أجداده القرود ، وقال البرفسور جوهانس هوردير العالم الذرى : أنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالات القرود ، وأن التجارب الواسعة التى أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً .

وأعلن الدكتور روبتر ، وأيده البروفسور هوردلر :أن نظرية دارون لا أصل علمى لها، وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالا تامًا ، فمنها : الإنسان الذى يمشى على رجليه ، ومنها الدواب التى تمشى على أربع ، ومنها : الزواحف التى تمشى على بطنها.

كذلك أعلن العلامة هوجودى فريس : أن الأنواع قد ظهرت إلى عالم الوجود دفعة واحدة كاملة العدة دون سابق إعداد أو خطوات متوسطة ، فلم يكن ثمة حاجة إلى سلسلة من الأجيال المتعاقبة أو الانتخاب الطبيعى . أو تنازع البقاء .

ويقول دكتور كريسى موريسون : إن كل نوع شجرة مستقلة ، وأن القانون يتحكم فى التنظيم الذرى بالجينات التى تقرر قطعًا كل نوع من الحياة من البداية إلى النهاية . ويقول جوليان هكسلى : إذا كان الحيوان قد تحول إلى إنسان فى الماضى ؛فلماذا لا تتحول بعض الحيوانات الحالية إلى أناس ؟ وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير** ﴾ (١)

(٤)

لقد قرر العلماء فى شبه رأى موحد : أن العلم يعجز عن أن يفسر ظواهر الأشياء أو يعللها ، ولكنه بصفها ويقررها ، فمهمة العلم فى تقديرهم قاصرة على وصف الظواهر وتقريرها لاتعليلها ، فقد كانوا فى أول الأمر يهتمون بمعرفة (لماذا) ولكنهم أخذوا يتخلون

(١) النور : ٤٥ .

عن هذا الاهتمام بعد أن تبين لهم عبث هذه المحاولات وعقب نتائجها ، ومن ثم رجعوا فى تواضع إلى إقرار الحقيقة ، فالعلم عندهم لا يفسر شيئًا ، وإنما يربط وينسق ويلاحظ ملاحظة مفهمية .

وقرر العلماء أن المعرفة العلمية تقتصر على ظواهر الطبيعة وأعمال البشر وعلاقاتهم التى يمكن باستخدام المشاهدة والتجربة اكتشاف قوانينها ، والعلم يعترف الآن بأن العقل البشرى لا يستطيع أن يدرك شيئًا إلا عن طريق الحواس ، ولذلك فكل ما يقع وراء دائرة الحس والعقل لا يستطيع العلم أن يبحث فيه أو يعرف عنه شيئًا ، وقد تقرر أيضًا أن حقائق العلم ليست مطلقة ولا أبدية ، وإنما هى حقائق نسبية ، والبحث العلمى فى صراع لاينتهى بين الإنسان والطبيعة ، فكلما ازداد الإنسان معرفة لقوانين الطبيعة ازدادت سيطرته عليها ، ومازال العلماء يتساءلون : هل يستطيع العقل أن يدرك الحقيقة ؟

ومعنى هذا أن العلم رغم تقدمه لم يستطع أن يحل المشاكل الكبرى المتمثلة فى أصل الكو ونهايته وطبيعته المادية ومنشأ الحياة وخلود الروح - كما سبق أن أشرنا - ومعنى هذا أن العقل جهاز له مقدرته المحدودة ، وطاقته التى تقف على أبواب عالم الغيب ، وهذا هو قرار العلماء المعملين الحاسم الواضح ، فلماذا إذن يسرف الفلاسفة فى حمل لواء المادية والوثنية ولما لا يقرون بالحقيقة الدينية ، ويصرون على أن العقل هو الواسطة الوحيدة للمعرفة الإنسانية ؟

لا ريب أن دعاة الفلسفة المادية قد حددوا موقفهم مسبقا من الله والنبوة والوحى والعالم الآخر ، فهم يرفضون هذا كله ، وعلينا نحن أن نرفض وجهة نظرهم .

ثالثا : ميدان النفس والأخلاق

(١)

لقد زحفت الفلسفة المادية إلى ميدان النفس والأخلاق ، وكان لهذا أثره الواضح العميق فى الشظايا الخطيرة التى أصابت قلوب الشباب وفتحت أمامهم أبواب القلق والتمزق والانحراف والتحلل ، وعلى الشباب المسلم أن يكون واعيا لهذه المحاولات الخطيرة التى تراد بهم ، فقد استطاع فرويد أن يخدع الفكر البشرى أكثر من سبعين عاما قبل أن تكتشف هويته ، وبالرغم مما أوردته بروتوكولات صهيون من إشارة إلى أنه ــ هو وماركس ــ من مخططات اليهودية العالمية ، فقد ظل كثير من الرازحين تحت أحمال التبعية الفكرية الوافدة ينظرون إليه فى تقدير كبير وبخاصة أولئك الذين احترفوا تدريس مادة علم النفس فى الجامعات ، أو الذين وجهوا إلى ترديد مفاهيمها فى الصحف والمجلات، وظل التغربيون يقدمون ذلك ، لا على أنه فروض ونظريات ، وإنما على أنه حقائق علمية ، وجرت على الألسنة كلمات : مركب النقص والعقل الباطن وغيرها من مصطلحات حتى جاء الوقت الذى استطاع علماء النفس أنفسهم أن يضعوا الحقائق كاملة بين أيدى المثقفين والباحثين عند ما أعلن المتخصصون منهم أن ما أورده فرويد من أصول لنظريته ، جرت مجرى العلم الصحيح ، وما هى إلا أصول الفلسفة التلمودية الصهيونية اليهودية مجددة ومصاغة فى قالب علمى براق ، استطاع أن يخدع الكثيرين فترة ما حتى كشف الله وجه الحق .

والحق أن نظرية فرويد معارضة للفطرة والعلم ولطابع الأشياء . لأنها تعلى من شأن الجنس ، وترد إليه كل تصرفات الإنسان ، ويرى فرويد أن الإنسان فى جوهره (حيوان) كغيره من الحيوانات ، وأن كل أعمال الطفل تعبير عن طاقة الجنس ، وأن الطفل يعشق أمه بدافع الجنس ، ثم يجد الأب حائلا بينهما فيكبت هذا العشق فتنشأ فى نفسه (عقدة أوديب) والطفلة تعشق أباها بدافع الجنس فتكبت هذا العشق فتنشأ فى نفسها (عقدة اللكترا) وهكذا يدخل فرويد الإنسان حظيرة الحيوان ، ويثبت أنه عبد لنزواته ، وأن العقل الباطن هو المسيطر الفعال فى توجيه الإنسان ، وأن غرائزه وميوله الفطرية هى الأساس لسلوكه فى الحياة ، وهى التى تحكمه وتسيطر على نشاطه .

ولقد كانت هذه النظرية منذ اللحظة الأولى موضع نقد علماء النفس ، وقد وجدت

معارضة شديدة من حيث معارضتها للفطرة ، ومن حيث تغليب عنصر الجنس ، ورد كل حوافز الإنسان إليه ، وقد تبين أن فرويد اعتمد على الأساطير القديمة واعتبرها حقائق علمية ، واعتمد على حالات المرضى الفردية ، واتخذ منها أسسًا عامة للأسوياء ، وقد أثار العلماء إلى أن فرويد أقرب إلى المتنبئين منه إلى العلماء ، وأنه مخترع للفرضيات أكثر منه مجربًا لها ، وأنه يرى بنظرياته وآرائه دون أن يقدم لها البرهان العلمى ، والسند الواقعى ، وقد نبذ زملاؤه وجهة نظره فى الجنس ، وقالوا:إن الدافع الجنسى ليست له هذه الأهمية البالغة التى ينسبها فرويد إليه ، وأن هناك دوافع أخرى فى حياة الإنسان كالنبوغ وحاجة الإنسان إلى التعويض ، ومجرد القوة ، ولم تكن صحة نظرية فرويد هى مصدر زيوعها ، ولكن قوى الصهيونية كانت وراء إذاعتها ، فقد سجلت بروتوكولات صهيون إشارة إلى فرويد حين قالت : «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان ، فتسهل سيطرتنا . إن فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشباب شىء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » .

(٢)

ولقد كانت نظرية فرويد فى الجنس مقدمة لنظرية أخرى استشرت فى مجالات الشباب فى الغرب هى (الوجودية) التى حمل لواءها سارتر ، والتى كانت فى أول أمرها « صيحة أزمة » . تعالت فى فرنسا بعد انهيارها فى الحرب العالمية الثانية حين هوت تحت سنابك خيل الألمان صريعة الانحلال الخلقى ، فجاءت الوجودية التى دعا إليها سارتر ليطلق للشباب أمر التهالك على الشهوات تحديا للخطر الماحق الذى يعيش تحته العالم ، وبعد أن أفقدت الحرب أمم أوربا زهرة شبابها التى تجاوزت المائة مليون ، ولقد كانت وجودية سارتر وجودية ملحدة نابعة من الفكر المادى ، وإن حاولت أن توجد للإنسان منطلقا عاصفًا حيث جردته من مسؤوليته الفردية ، والتزامه الأخلاقى ، وأحالت ذلك كله على المجتمع ، ومن ثم انطلقت تلك النعرة المدمرة فى كل أنحاء العالم توحى بالتفكك والتمزق والضياع .

وقد وصفت الوجودية بأنها ظاهرة زمنية عابرة لن يلبث الإنسان أن يتخطاها ، وهى تمثل واقعًا يجب أن يعترف به ، وهى علامة على دخول الإنسان الغربى فى مرحلة

الانحدار ، ودخول أوربا والغرب والفكر الغربى كله مرحله التمزق الذى فرضته عليه الفلسفة المادية التى قادها فلاسفة اليهود التلموديين وإن كانت لا تخلو من تمثل أخطر ما أطلقته التعبيرات المسيحية حول نظرية « الخطيئة الأصلية » ذلك السوط الذى مازال يلهب ظهور الغربيين ، ويسوقهم إلى الدمار النفسى .

ولا ريب أن فلسفة سارتر الوجودية الملحدة هى بديل « الإيمان » الذى عجز الغرب عن الحصول عليه عجزاً مطلقاً .

ولا ريب أن البشرية حين انطلقت لترسم لنفسها طريقًا بعيداً عن طريق الله ، فإنها ستظل تائهة فى مضارب الصحراء ، ومادام الإنسان قد شرع لنفسه ورفض الأسس التى قدرها الحق تبارك وتعالى لتنظيم المجتمع البشرى ، فإنه ليس هناك قواعد ما يمكن أن تفرق بين الحق والباطل ؛ ذلك لأن الإنسان لا يمكن أن ينظم لنفسه ، وإذا أراد ذلك تداخلت أهواؤه ومطامعه وشهواته ، وأصبحت الأمور كلها نسبية ، وليس لها ضوابط أو حدود أو قيم ثابتة راسخة تحاكم إليها .

لقد حاولت الوجودية أن تحمل دعوى تحرير الإنسان ، ولكن الوجودية فى الحقيقة قد حملت إلى البشرية القلق واليأس ، فهم يقولون : إنهم جيل بلا أمل وبلا عمق ولا مستقبل ، وأن عمقهم هو الهاوية ، وحبهم هو الوحشية ، وحياتهم علب من الورق فارغة وقابلة للتمزق، وليست الوجودية إلا تعبيراً عن هذا الهوان . أين هذا من الإسلام الذى يقدم للبشرية الأمل، وللنفس الإنسانية السكينة ؟ والإيمان حين يرفض اليأس والقلق والشك ، وهو لا يترك الناس صرعى فى أوهامهم ، ولكنه يقدم لهم الترياق ، ويقدم لهم العون ، ويفتح لهم الآفاق التى تخفف الشهوات ، وتحررهم من قيود الحيوان ، ويراوح بينهم وبين دين السماء والروح والمعنويات ، فهو لا يحرمهم رغائبهم الجسدية ، ولكنه يبنى فيهم الروح والعقل .

إن أخطر ما تقدمه الوجودية للشباب : التشاؤم وهو طابع عام لكل معطيات الفكر الغربى البشرى الضال عن الإيمان بالله والروح والمعنويات .

ولا ريب أن الوجودية تبدو غريبة عن فكرنا الإسلامى القائم على التوحيد والإيمان بالله ، وهى من علامات انهيار الحضارة المادية ؛ لذلك فهى تبدو غريبة عنا ، دخيلة علينا ، وأغرب ما فيها أنها حين تعتز بحق الفرد فى الوجود - وهو مفهوم إسلامى - فإنها تعطى أعظم معطيات الإنسان والركن الركين فى وجوده على الأرض وليس المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقى الذى يحاسب على أساسه ، ويقرر جزاءه ، إن رفض فكرة الالتزام

وفكرة الرقيب النفسى (الضمير) وفكرة الفضيلة ، وفكرة الخير ، وفكرة الإيثار ، وفكرة العدل . وفكرة المسؤولية . إنما تجرد الإنسان من كل قدراته ومعطياته التى تجعله قادراً على أداء دورة الحق فى الحياة ، وإن أخطر ما تدعو إلية الوجودية هو : أنانية الفرد فى مواجهة المجتمع بإنكار دوره فى العطاء والبذل والإنفاق والعطاء للآخرين ، ومن فسادها قولها : إن الإيثار يعنى أن يصبح الإنسان مجرد أداة للآخرين ، بينما يدعو الإسلام إلى أن الإيمان هو انتقال الإنسان من الأنانية إلى الخيرية .

(٣)

وقد تطورت هذه المفاهيم المادية حتى وصلت إلى نظريات تفسر الإنسان وفق مذاهب المادة وعالم الحيوان ، وإنكار القواعد الخلقية ، وإنكار فطرة الدين والأسرة والزواج ، وهذا ما حمل لواءه اليهودى دوركايم تحت اسم علم الاجتماع .

ويذهب دوركايم إلى أن الجريمة هى الفطرة ، وينظر فى سخرية شديدة إلى الأخلاق والدين والأسرة . ولا ريب أن نظرية دوركايم فى علم الاجتماع حين يلتقى مع نظرية فرويد فى الجنس ، وسارتر فى الوجودية ، وماركس فى الاقتصاد ، فإنها تشكل إنساناً مضطرباً مزعزع الوجدان .

ولا ريب أن هذه نظريات وافدة ، وفروض افترضتها عقول باحثين ، وأنها ليست علماً ، وليست هى بالطبيعة حقائق أو قيم أساسية .

ولا ريب أنها أفسدت المجتمع الغربى والفكر الغربى ، وأدخلت المجتمعات الغربية فى أزمات شديدة خطيرة ، وكان لها أثرها البعيد فى زلزلة نفوس الشباب والمرأة ، وفى تدمير الأسرة ، فما هى حاجة الشباب المسلم إليها ! وهذا الشباب الذى يجد لديه منهجاً صادقاً متكاملاً ترقبه البشرية وتتطلع إليه لتخرج من أصفادها وقيودها .

إن أمتنا ذات التاريخ العريق ، والدور الأصيل فى بناء حضارة الإنسانية بما قدمت من منهج ربانى يجب أن تستعلى على هذه السموم ، فلا تكون أداة فى أيدى الأممية العالمية التى تريد أن تحتويها ، وعليها أن تستمد وجودها من فكرها الأصيل المستمد من وحى السماء .

إن نظرة فكرنا الإسلامى إلى النفس الإسلامية والأخلاقية ، وبناء الإنسان نظرة رحبة عميقة واسعة الآفاق والأبعاد ، جامعة بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة .

فى إطار الالتزام الأخلاقى والمسؤولية الفردية ، والإيمان بالغيب والجزاء .

والواقع أن الإنسان المسلم ليست له أزمة ولا قضية حادة فى ظل مفهوم الإسلام ؛ ذلك لأن الإسلام نظر إلى الإنسان من خلال طبيعتة الجامعة بين الروح والجسم ، والعقل والقلب ، نظر إليه بوصفه كيانًا متكاملاً ، وبذلك أقر رغباته المادية كلها ، وأباحها له دون أن يقيدها إلا بضوابط معينة قصد بها حماية الإنسان نفسه من الانهيار والتدمير ، وحتى يكون قادرًا على أداء رسالته فى الحياة ، ومواجهة مختلف التحديات دون أن يضعف أوينهار .

أولا : أعلن الإسلام أن التدين جزء من الطبيعة البشرية . وأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير دين ، وقدعجزت الأيدلوجيات والمذاهب الحديثة أن تقدم له بديلا عن الدين يرضى روحه ، ويسعد حياته . ولقد حررت الأديان الإنسان من عبودية المجتمع ، وعبودية الفرد ليتجه إلى الله وحده ، ولكن هذه الأيدلوجيات أعادت الإنسان إلى كبد المجتمع ، لقد تضاءل الإنسان ليصبح مجرد نملة اجتماعية فى مجتمع النمل .

لقد علم الدين الإنسان أنه ليس حشرة اجتماعية ، ولكنه إنسان ذو كرامة ، فاستطاع الدين أن يمنح معتنقيه هداية لا تستطيع الأيدلوجيات أن تقدمها ، لقد دفعت الأيدلوجيات الإنسان إلى عبادة قوى المال والمادة ، بينما ارتفعت الأديان بالإنسان إلى عبادة الله الواحد القهار .

ثانيا : ألغى الإسلام الفكرة الوثنية التى تتجدد عن طريق الأيدلوجيات ، والتى تقول إن هناك صراعًا بين الجسم والروح ، وأعلن أن الجسم والروح متكاملان ، وبذلك عارض مفهوم الرهبانية ومفهوم الإباحية معًا ، ودعا إلى التوازن ، وإلى إعلاء الرغبات حتى تتحقق القدرة على تنفيذها على النحو الطبيعى السليم .

وفى سبيل مواجهة الفراغ الفكرى والنفسى عند الشباب وضع الإسلام ضوابط من ثلاثة عناصر : الاعتدال - الحلال - العفة .

ولذلك فقد عجزت أزمة الجنس أن تجد لها مجالا فى محيط الإسلام ؛ لأنها لم توجد أصلا ، لقد قبل الإسلام مبدأ الفطرة القائم على التوازن ، وأعلن وجود الرغبات من مال وطعام وجنس ، ولكنه وضعها فى إطارها الصحيح ، ولم يجعل الطعام قضية تفوق القضايا كما نقول ، أو تسيطر الماركسية عليها . ولم يجعل الجنس قضية القضايا كما ترى الفرويدية ، ولكنه جعل الحياة متكاملة فى عناصرها متوائمة فى رغباتها وحدودها ، بعيدة

عن الزهادة والسرف والرهبانية والتحلل والإطلاق والكبت . وجعل للحياة أفاقًا أوسع من المادة ، وأعلى من الرغبات ، وجعل هناك الأشواق الروحية والنفسية والعقلية إلى الثقافة والعلم والعبادة ، فالإسلام لا يرفض الرغبات الحسية ، ولكنه يضعها فى إطار واضح ، فيجعل تحقيقها عن الطريق الطبيعى بالزواج فى حالة القدرة أو التسامى ، والإعلاء بها بعد فى حالة عدم الاقتدار ، وذلك دون أن نفقد هذه الرغبات حقها المعترف به فى حالة الاستطاعة .

ثالثا : أعلن الإسلام عن قيام الإرادة الحرة ، لكل مسلم ولكل إنسان فكل إنسان مريد وقادر على العمل والتعبير ، وقد هدى إلى الطريقين : طريق الخير ، وطريق الشر ، وعليه أن يختار أحدهما ، وفطرته تهديه ، ودين الله هو المبلغ له عن طريق الرسل والكتب برشده .

وهذه الإرادة لها تبعتها : وهى المسؤولية والحساب والجزاء الأخروى ، فلا إرادة بلامسؤولية ولا مسؤولية بلاجزاء .

أما الذين يقولون بالجبرية والصدفة ، وبأن الحياة مطلقة ، وأن من حق الإنسان أن يأخذ منها ما يشاء قبل أن يدركه الموت ، فذلك ليس مفهوم الإسلام ، وهو فى ذاته مفهوم باطل يحكم العقل والقياس ، وأن ترتيب البعث والجزاء بعد الموت ليس أمرًا مستحيلاً ولا متنا قضًا مع العقل والفطرة ، ذلك لأن للإنسان رسالة فى الحياة وهو يطالب بأن يقوم بها على الوجه الصحيح فى سبيل إقامة مجتمع يرضى عنه الله تبارك وتعالى . فله فى ذلك أجر الإحسان ، وجزاء الخطأ ، فإقرار البعث مطابق للفطرة ، ولا يشكل تناقضًا عقليا ، بل إن إنكار البعث هو الذى يشكل التناقض ، ويصور هذه الحياة على أنها مسرحية هزلية ، أو لعبة أو لهوا ، وهى ليست كذلك بالقطع ، الإنسان له رسالة وهو محاسب عليها ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ [1] .

رابعا : إن أخطر ما يطرح فى أفق مجتمعنا : القول بأن كل إنسان حر ، ومعنى الحرية هنا، أنه يرفض التجربة التى قدمتها له الأجيال السابقة ، وذلك عين الضعف والقصور والعجز ، فالشخصية القوية الرحبة تكون قادرة على مناقشة وجهة النظر الأخرى ، ولو كانت خاطئة، والنظر فى تجارب الذين مضوا على الطريق ، إما أن يحجب الإنسان نفسه عن ذلك فإنه سوف يقوقع فى أضيق الحدود ، وسوف يعجز عن اقتحام الحياة وتحقيق

(١) المؤمنون : ١١٥ .

النجاح، إن علينا أن نواجه خبرات الناس وتجاربهم ، ومعنا ضوئنا الكاشف ومقاييسنا الأصيلة ، بل علينا أن نطالب الأجيال التى سبقتنا أن تقدم تجربتها ، وعلينا أن نكون منصفين فنأخذ خير ما فيها ، ثم نحاول ألا نقع فيما وقعوا فيه من أخطاء .

تلك هى ضرورة الالتقاء بين الأجيال وحتمية الحلقات المتتابعة بين الأمم ، ليس بين الأجيال صراع كما يقولون . بل بينهما لقاء وتكامل .

لقد استشرى هذا الخطر ، خطر رفض تجربة الأجيال السابقة ، والنظر إليها فى شىء كثير من الانتقاص أو الزهد فيها ، وذلك من شأنه أن يفوت خيرا كثيراً ، ولقد تعالت صيحات تقول : إن على الأبناء أن يشقوا طريقهم دون توجيه من أحد ، وأن عليهم أن يستعلوا على تجربة الأجيال التى سبقتهم ، وكيف يستعلى من لا يملك شيئًا ؟ كيف يستعلى من يجهل ؟وكيف يرى من ينظر فى الظلام ؟ إننا دائما فى حاجة إلى أمرين ، وكل الأمم الناهضة تتشبث بهما منهج أصيل هو ضوء كاشف تعرض عليه كل شىء ، ولا تقبل إلا ما يقره ، وتجربة للذين سبقوا على الطريق ، وبنوا قبلنا حتى نعرف موضع اللبنة التى سيقدر لنا أن نضعها . إن هؤلاء الذين يعلنون تلك الصيحة ليسوا لنا بناصحين ولا أمناء ، إنهم يريدون تحطيم الرابطة الأصيلة بين الأجيال ، وإيجاد الصراع بينهما ، ونحن جميعا نعرف بروتوكولات صهيون ، وما نصت عليه فى هذا الشأن .

إنها تريد تدمير هذه الأمة الصامدة فى وجه الغزو الفكرى والاستعمار والصهيونية ، إنهم يطمعون فى إخراج أجيال مدمرة ممزقة نفسيا ، متحللة من كل القيم والضوابط ، وفهم يدفعون الأجيال الجديدة إلى التمرد على القيم الأساسية للمجتمعات ، وعلى الآباء وعلى الأساتذة وعلى المربين .

صحيح أن بعض الآباء والمربين والأساتذة ليسوا على مستوى المثل الأعلى ، ولكن ليس الطريق هو إزاحتهم ورفضهم ، وإنما الطريق هو الوصول إلى التجارب وفحصها ، والأخذ بالنافع ، وأمن عثار الضار منها . إن الشباب وهو يحمل أمانة الغد ؛ لابد أن يبنى على الأساس ، وأن يتحرر من أخطاء السابقين ، وأن يستمد التجربة والمثل الأعلى ، والأسوة من المنهاج وهو القرآن ، والنموذج الكامل ،وهو محمد ﷺ قدوة الأجيال والأمم والعالم .

خامسا : إن الإسلام يدعونا إلى « المجاهدة » والمذاهب النفسية الحديثة تدعونا إلى الانطلاق ، فأيهما فيه الخير من أجل بناء الشخصية الإسلامية القادرة على مواجهة أخطار

المجتمع ، وصناعة الحياة والدفاع عن القيم والمقدسات . إن « المجاهدة » بمعنى معارضة الأهواء والمطامع ، والكظم بمعنى تأجيل الرغبة ليس هو (الكبت) الذى صور فرويد أخطاره ، وبالغ فى التخويف منه ، تلك المخاطر الوهمية التى أذاعها فرويد عن الكبت تختلف تماماً . ذلك أن الكبت إنما يستمد معناه ومدلوله من إنكار الرغبات أساساً ، وتحريمها عقيدة ، وعدم الاعتراف بها واحتقارها كاحتقار الجنس أو المال أو الطعام ، بينما الإسلام يقرها جميعا ، وينكر تحريمها ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾ (١) .

إن الإسلام لا يحتقر الرغبات ، وإنما يعترف بها ـ نفسية وحسية ـ اعترافًا كاملاً دون إنكار لها ، وإن كان يدعو إلى الاعتدال فى استعمالها ، أو تأجيل ممارستها حتى تتحقق القدرة التى تضعها فى إطارها المشروع والصحيح ، فتأخير ممارستها ليس كبتا ، وإنما هو إعلاء .

إن خطر الكبت الذى تفترض الفرويدية أنه يؤدى إلى العصاب لا يتحقق إلا نتيجة الإنكار والرفض والاحتقار للرغبات .

أما الاعتراف بها مع التأجيل ، فذلك مما لا يتعارض مع الطبيعة البشرية ، وهو ما ترضاه وتحتمله . لقد هللت طويلا دعوات التربية الحديثة بأن توجيه الأطفال وعقابهم يؤدى إلى كذا وكذا من الأمراض ، ثم أثبتت التجارب التى أجريت على الطبيعة بالإحصاء الدقيق . أن ذلك محض وهم ، وأن النفس الإنسانية قابلة للتوجيه والتحذير والعقوبة دون أن يحدث ذلك عندها شيئًا ألبتة مما يسمى بمركبات النقص أو غيره ، ونحن نؤمن بأن صانع البشرية (جل وعلا) أقدر على فهما ، وآمن عليها من الأخطار ، وهو الحامى لها من أولئك الفلاسفة الماديين ، وأن ما رسمه لها من أساليب تحذير وضوابط ومناهج ترغيب وترهيب ، إنما هو دوائها ، وأنه متصل منها ، وليس بشاق عليها ولا خطر فيه ، وليس له ضرر ما على النحو الذى تهول به الفلسفات المادية والوثنية .

وإن كنا نريد أن نعرف الخلفيات ، فلنذكر أن الهدف هو تفكك عروة الشاب منذ الطفولة ، وبناء أجيال متحللة مدمرة ، ورفع يد الآباء عن التوجيه ، وخلق جو من الكراهية فى محيط الأسرة حتى يفقد الشباب تلك الثمرة الخصبة : تجربة الجيل وعشرة الغيرة من كفاح الآباء ، وذلك عن طريق هدف بروتوكولات صهيون الصريح الذى يقول : « يجب تدمير المجتمعات الإنسانية قبل السيطرة عليها » .

---

(١) الأعراف : ٣٢ .

رابعا : ميدان الاجتماع

(١)

إذا عرف الشباب المسلم تلك التحديات التى تواجهه فى ميدان العقائد والفكر والثقافة والنفس والأخلاق ، فإنه يكون قادراً على معرفة مفهوم الإسلام من ميدان الاجتماع الحافل بعشرات القضايا فى مجال الأسرة والمرأة ، والتى تواجهه تحديات مختلفة نتيجة ماتطرحه الأيدلوجيات الفردية (الغربية) . والجماعية (الماركسية) وكل منها يهدف إلى إخضاع المجتمع لطابعه ومفهومه ، بينما يقدم الإسلام مفهوم المجتمع المتكامل بين الفرد والجماعة على نمط يختلف اختلافا شديداً عن مفاهيم الفكر البشرى بأخطائه وعثراته .

فالمجتمع الإسلامى يقوم أساسا على وحدة الفكر وفق مفهوم عقلى وروحى مشترك من شأنه أن يحقق صهر أفراد المجتمع فى بوتقة واحدة بالرغم من تباين أصولهم ، واختلاف جنسياتهم ، دون أن يجعلهم صورة واحدة ، وإنما يجعل هدفهم واحداً : هو إقامة المجتمع الربانى المصدر الإنسانى الطابع : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ (١) ، فالمجتمع الإسلامى (القرآنى المصدر) يقوم على أساس الحب والتكافل والإخاء ، وتمثيل تكوين الفرد ، ليكون لبنة صالحة فى بناء المجتمع ، ولاشك أن بناء المجتمع الصالح إنما يحقق غايتين فى آن واحد : الرحمة للفرد ، والعدالة للمجتمع .

والمجتمع الإسلامى بهذا الاتجاه الربانى يتميز عن المجتمعات البشرية كلها ، التى عجزت عن تحقيق التوازن أوالتكافل الاجتماعى فيما بينها ، وهى الركيزتين الأساسيتين فى بناء المجتمع الإسلامى ، فقد عاشت البشرية ، ولاتزال فى صراع وانقسام بين دعوة إلى الفردية، ودعوة إلى الجماعية ، ومنذ عصراليونان كان هذا الصراع ولايزال ، أما الإسلام فقد حقق هذا التوازن فى المجتمع دون أن تفقد الفردية وجودها فتسحق الإنسان ، ودون أن تفقد الجماعية كيانها ، فتستعلى على الفرد ،حقق هذا التوازن بين الفرد والجماعة التى

(١) الحج : ٤١.

شقيت الإنسانيةدون الوصول إليه ، فهى إما فردية مغرقة فى ذاتها ، وإما جماعية جامدة تصب الأفراد فى قالب واحد .

أما الإسلام فقد استطاع أن يقيم هذا النموذج فى صدر الإسلام ، وأن يثبت صلاحيته الباهرة فى خلق مجتمع متوازن ، تتكيف فيه إرادة الفرد مع صالح الجماعة ، وتكفل الجماعة للفرد حقوقه ، وتفرض عليه واجباً يقوم فى الدرجة الأولى على التقوى ، والوازع الداخلى ، وقانون الأخلاق ، واستطاع الإسلام بذلك أن يقضى على التفرقة الطبقية ، وأن يحرر المجتمع من العبودية ، وأن يكفل للمرأة حقوقها الاجتماعية ، وأن يعالج توزيع الثروة معالجة عادلة تحول دون تكديسها فى أيد أفراد قلائل .

ولقد حفظ هذا النظام للفرد نشاطه وميله الغريزى للامتلاك ، وتأكيد الذات والتنافس فى إطار العدل والإخاء ، فالمجتمع الإسلامى كما يقول علماء الفقه : هو عقد مشاركة وتضامن بين جميع أفراده (الأقوياء والضعفاء ، والأغنياء والفقراء وقد حث الإسلام على رغباتهم جميعا ،وبذلك عارض نظريات الجنس الممتاز ، وقتل المرضى والضعفاء .

أما لماذا لانجد المجتمع الإسلامى اليوم فى مكان الصدارة والقيادة ؟ ولماذا هو فى دور التابع الذى يتطلع إلى مافى أيدى الناس ، وعنده أكبر عطاء ؟ فإن ذلك يرجع إلى أن المجتمع الإسلامى قد انفصل تحت عوامل شتى عن مصدر التوجيه القرآنى الذى لاحياة له إلا به ، فحل عليه ما يحل على كل من يخالف سنن الله وقوانينه .

ولذلك فإن من أكبر الأخطاء أن يبحث المجتمع الإسلامى عن نظرية اجتماعية يبنى عليها حياته ، بينما عنده أصدق المناهج ، وهو حين يقتبس من المناهج الغربية ،فإنما يأخذ من أمم تمر بمراحل الضعف والاضطراب ، وتعيش نهاية تجربة مريرة ، حيث يصرخ العالم الغربى كله طالبا النجاة ملتمسا منهجاً جديداً .

وليس للمجتمع الإسلامى ، ولاللمجتمع البشرى كله إلاطريق واحد ، هو طريق القرآن منهج الإسلام ، ذلك المنهج الكامل الجامع القادر على العطاء الذى يقوم على الضوابط والحدود التى تصلح الإنسان وتدفعه إلى الأمام .

(٢)

ولاريب أن الأسرة هى عماد المجتمع وقواته الكبرى.فإذا اضطرب هذا النظام تعرض

المجتمع كله للفناء ، ولا شك أن محاولة تقويض الأسرة هو هدف من أكبر الأهداف الصهيونية والماركسية ، وكل القوى الهدامة .

ولاريب أن بناء الفرد الذى هو أقوى دعائم المجتمع إنما مردّه إلى الأسرة ، ممثلة فى المهاد (الأم) . والإطار (الأب) . فالأسرة هى حلقة الاتصال وعامل البناء بين الفرد والمجتمع ، وهى نقطة التحول فى تاريخ الحضارة ، لأنها تقوم بأول عملية اجتماعية ، هى عملية التنشئة الاجتماعية ، فهى التى تدعم فيه بالتربية والقدوة الجذور الثابتة والأخلاق والآداب والمعاملات والذوق ، ومظاهر السلوك الخاص والعام حتى تجعل منه إنسانا اجتماعيا يستجيب لمؤثرات البيئة ، ويخضع لأحكامها ، وهى مصنع الرجال طالما استمسك الآباء والآمهات بالمسؤولية والإرادة ، فهى تعتبر أكثر من كونها مجرد وعاء لأمور النسل وتربية الأبناء ، وإعدادهم للقيام بدورهم فى الحياة الاجتماعية ، فالأسرة كجماعة من شأنها أن تزود أعضائها بكثير من الإشباعات الأساسية ، حيث تدعم روح الحب والتعاطف بين الزوجين ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الأطفال أنفسهم .

ولاريب أن الأسرة تكوين فطرى ، لايستغنى عنه النوع الإنسانى . ولذلك فقد حث الإسلام على بنائها ، ورغب فى تكوينها حتى جعل الزواج فى بعض المواقف فريضة عند خشية العنت . وأعلن أنه من آيات الله وآثار رحمته . وقد ذلل الإسلام الصعاب التى تعترض تكوين الأسرة ، وعمل على القضاء عليها حرصا على تحقيق هذه الدعامة الهامة فى حياة الأفراد ، وفى حياة المجتمع . ولذلك فإن القيود التى تقوم الآن فى وجه الزواج ، إنما هى من معضلات المجتمع ، وعوامل اضطرابه ، ولابد لكى يتحقق هدف الإسلام أن تذلل كل الصعاب القائمة فى وجه الزواج ، وقد حرص الإسلام لتدعيم الأسرة على حياطة الزواج بضوابط هامة منها : تحريم النظرة ، والخلوة ، والزنا حتى لايجد الشباب محيصا من الزواج بوصفه ضرورة من ضروريات بناء المجتمع الإسلامى ، ثم حث الإسلام على حسن المعاشرة ، ودعا إلى الرفق والتآلف ، وجعل حل الأسرة وهو الطلاق أبغض شىء إلى الله ، ولذلك فإنه لم يدع ذلك الأمر بغير ضوابط ، فقد أرشد عند إرادة فصم عرى الزواج أن يتم عديد من الإجراءات التى من شأنها أن تفادى ذلك .

كذلك فقد جعل الطلاق منجماً مفرقاً على مرات ثلاث ، وجعله على وضع يمكن الزوجة من مراجعة نفسها ، وتدبر عاقبة أمرها ، وجعل للمرأة الحق فى أن تطلب

تطـليق نفسها ، وكذلك حدد الإسلام وظائف الأسرة :

أولا : إنجاب الأنباء .

ثانيا : الوظيفة الجنسية التى تمنح المرء علاقة طبيعية مشروعة .

ثالثا : المهمة الكبرى : وهى تربية الأبناء وتنشئتهم على الدين والخلق ، واحترام الكبير، وعمل الخير والعطف على الضعيف .

وقد رأى الإسلام للأسرة المسلمة أن تحفظ ذاتها وكيانها من التحديات والأخطار التى تواجهها ، والتى تحاول أن تخرقها أو تحطم وجودها حماية للأطفال من أن يضيعوا فى غمار الحياة ، دون توجيه صحيح ، أو أن يقعوا أسرى الأزمات النفسية والاجتماعية التى تجعلهم ينشؤون غير أسوياء ، أو كما قالت : خولة بنت ثعلبة :إذا ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلىّ جاعوا ، فالأسرة هى الفطرة :﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ (١) .

وقد أرسى الإسلام بناء الأسرة على الدين ، ودعا إلى حماية الطفل الوليد قبل ولادته بالتخيروإحسان الانتقاء ، تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ، ودعا إلى حسن الاختيار ، وجعل الأفضلية للمرأة صاحبة الدين ،وفضلهاعلى صاحبة المال أو الجمال أوالحسن «فاظفر بذات الدين تربت يداك » ولم يجعل الحب أساسا للأسرة ، وإنما جعل المشاركة والإفضاء :أكلّ البيوت تبنى على الحب ، أين تقوى الله وعهده ؟ ﴿ **وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً** ﴾ (٢) .

وقد أوجب الإسلام على الأبوين رعايته قبل أن يولد وهو جنين فى بطن أمه ، فشرع لها الفطر فى رمضان إن خشيت عليه ، ودعا إلى مناداته بأحب الأسماء ،وأن يؤذّن فى أذنه باسم الله عندما يولد حتى يكون أول كلام يسمعه ، وشرع الأحكام لحمايته ، وإتمام رضاعته ، وجعل لمن لا تستطيع الرضاعة أن تستأجر من ترضع لها ، وشرع الأحكام لتأديبه وتعليمه وحياطته بالرحمة والتقوى حتى ينشأ ربانيا مؤمنا منذ الصور الأول التى يرى عليها والديه .

---

(١) الروم : ٢١ .

(٢) النساء : ٢١.

والواقع أن نظام الأسرة فى الإسلام مرتبط ارتباطا وثيقًا بمعتقدات هذه الأمة وتقاليدها وعرفها الخلقى وتاريخها . وهذا هو السر فى صمود الأسرة المسلمة فى وجه التيارات الغربية التى تحاول اعتبار الزواج مجرد رابطة عقدية مدنية كسائر العقود المدنية ، وعزلها عن السياج الدينى والعقائدى الذى يحفظها من عواصف الزمن ، ومخاطر الأغلال.

(٣)

وكذلك نجد موقف الإسلام من المرأة :موقفاً سمحاً كريما :النساء شقائق الرجال وأن الجنة تحت أقدام الأمهات ، وبذلك منح الإسلام المرأة المساواة ، وكرم الأمومة ، ونفى الإسلام عن المرأة صفة المتاع الذى يورث ، ثم سوى بينها وبين الرجل ، فالرجل يرث ، والمرأة ترث :﴿ **للرجال نصيب مماترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مماترك الولدان والأقربون** ﴾ (١) وجعل للمرأة حق الولاية على أموالها متى بلغت سِنّ الرشد ، فإن لها أن تتصرف فيها ، وبذلك سما الإسلام من حياة المرأة تهمة القاصر الدائم الذى كانت تتسم بها بعض الأنظمة القديمة ، وأعطاها الكفاءة الأهلية فى إدارة أموالها ، والتصرف فيها . قال عمربن الخطاب : والله ماكنا فى الجاهلية نعد النساء شيئًا حتى أنزل الله فيهن ماأنزل ، وقسم لهن ماقسم . حرر الإسلام المرأة من أن تورث مع المتاع ، وحرم الوأد ، وسوى بين دم المرأة ودم الرجل ، وصار يقتل قاتلها ، وكان الاستئثار دونهن بالمهور، فجعلها الإسلام حقا خالصاً لهن ، وكان تعدد الزوجات غير مقيد ولامحدود ، فجاء الإسلام محدداً له ، ومقيداً إياه بقيود كفيلة بالقضاء عليه ، وجعل الطلاق أبغض الحلال إلى الله ، ودعا إلى الصلح والمراجعة ، وأوجب للفتاة النفقة شرعاً فى حياة أبيها حتى تتزوج ، وليس له أن يلزمها طلب الرزق كالابن ، فإذا ماتزوجت ثم طلقت فعادت إلى أبيها عادت نفقتها عليه .

وقد جعل الإسلام الرجل والمرأة متكافئين فى الحقوق والواجبات ، ولكنهما ليسا متشابهين فى التكوين النفسى والجسمى من حيث أن كل منهما له عمله المكلف به ، فله تركيبه المناسب له، ومن الحق أن يكون هذا الأمر موضع النظر والتقدير: إن هناك تغايراً وظيفيا بينهما ، والمساواة لاتقتضى إنكار حكيم الطبيعة بينهما ، ونسيان الفوارق الخلقية، ومايتبعها من الاختصاص .

(١) النساء :٧ .

ولقد أثبتت بحوث العلم وتحقيقاته أن المرأة تختلف عن الرجل فى كثير من جوانب الصورة والسمة والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والخلايا ، ومع بلوغها سِنّ الشباب يعروها المحيض الذى تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها ، وتدل مشاهدات أساطين علمى الإحياء والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها مدة حيضها : أن تقل فى جسمها قوة إمساك الحرارة فتنخفض حرارتها ، ويبطئ النبض وينقص ضغط الدم ، وتقل عدد خلاياه، وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللمفاوية بالتغيير ويختل الهضم ، وتضعف قوة النفس ، ويتلبد الحس ، وتتكاسل الأعضاء ، وتتخلف الفطنة ، وتقل قوة تركيز الفكر ، وأشد على المرأة من مدة الحيض زمان الحمل ، حيث لاتستطيع قوى المرأة إبان حملها أن تتحمل من مشقة الجهد البدنى أوالعقل ماتتحمله من عامة الأحوال مما يختل معه نظام جسمها كله ، ويستغرق بضعة أسابيع ، وبذلك تبقى المرأة مريضة أوشبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل ، وتعود قوة عملها نصف ماتكون عليه فى عامة الأحوال .

ومن شأن هذا كله أن يكون له أثره ومخالفته لطبيعة الرجل ، وتتصل به الآثار المترتبة على عمل المرأة خارج البيت فى غير وظيفتها الأصلية ، فإذا أضفنا إلى ذلك عوارض الحيض والحمل والولادة خصائص الأنوثة نفسها التى تجعل لديها قدراً كبير من العاطفة والوجدان ، بينما لايبلغ ذلك فى أمور الفكر والنظر ، عرفنا إلى أى حدّ أعطيت المرأة ماتحتاج إليه مماهو مرتبط بمكانها وواجبها ووظيفتها فى الحياة .

هذه الفروق الواضحة بين الرجل والمرأة فى التركيب النفسانى والجسمانى هى نتيجة لاختلاف الوظيفة، وتكامل شقى النواة الواحدة ، ولذلك فإن كل المحاولات لإخراج المرأة المسلمة من هذا المفهوم هو عمل غير سليم ، وأن حضارة الغرب التى حاولت ذلك لم تستطع أن تحقق إلا الانحلال والتمزق والأزمة الطاحنة .

خامسا: مسؤولية الشباب المسلم

(١)

نصل بعد هذا الفهم الواسع لهذه الجوانب المختلفة إلى سؤال محدد هو :

ماهى مسؤولية الشباب المسلم إزاء نفسه وإزاء مجتمعه ؟

وقد حرص الإسلام على بناء الشباب وإعداده ، وجعل قاعدة الإيمان بالله هى مصدر الضوء الكاشف الذى ينير له الطريق ، ويزيل العقبات ، ويعين على فهم المعضلات وحل المشكلات ، وفى القرآن الكريم مفتاح الطريق ، وهناك طرق أخرى ، وكتابات منثورة فيها النافع والضار، فعلى الشباب المسلم أن يتخير وأن يبدأ بما يثق أنه نافع كله ، فإذا شكل مفهومه فى ضوء القرآن الكريم لم يكن عليه من حرج فى أن يقرأ مايشاء ، لأنه يكون حينئذ قد كون قاعدته الأساسية فى فهم الحياة .

والقاعدة الأساسية هى أن الإنسان مخلوق لله تبارك وتعالى ، ومستخلف فى الأرض ، وله فى هذه الدنيا مهمة ومسؤولية ورسالة ، وقد أعطى جل متاعها حلالا طيبًا ، وحرمت عليه أشياء قليلة .

وقد جاءت رسالة الإسلام لتدله على طريق الخير ، ولترسم له الضوابط التى تحمى شخصيته من الانهيار . فعليه فى هذه المرحلة أن يفكر قبل أن يتصرف ، وأن يطيل النظر قبل أن يقرر ، وأن يتخذ من تجربة الأجيال ، وسيرة العظماء ، وهدى النبوة عبرة تعينه فى الخطو حتى لايسقط .

وعلى الشباب أن يعرف أن هناك خطرا يواجه الأمة كلها ، ذلك هوالعدو الرابض المتمثل فى الاستعمار الكامن وراء الغزو الثقافى ، ومن هذا المصدر يأتى خطر الدعوات المثارة الداعية إلى الشر والإباحية والحرام ، بينما يدعو دين الله الحق إلى الخير والقصد والسداد ، وليس فى الإسلام مايحول الإنسان ورغائبه ، ولكنه يرسم لذلك طريقًا ، ويضع ضوابط للحماية ، والتوقى ، فلا خطر من تأخر تحقيق رغائب الإنسان ومتطلعاته ، فتلك من طبيعة الإنسان التى يقرها الإسلام ، والتى يدعو فى نفس الوقت إلى الإعلاء والتسامى بها حتى تأتى مرحلة تحقيقها على الوجه الطبيعى ، فليس فيما يتحفظ به الإسلام إلا الحماية

والحفاظ على ذلك الكيان الإنسانى من أن يستهلك ويبدد قبل أن يؤدى واجبه ورسالته .

وهذا هو الجانب الذى يحتاج فيه الشباب المسلم إلى الضوء الكاشف ، والتجربة السابقة ، وتأتى هذه التجربة من ذلك النبع الثرى ، كتاب الله وسنة رسوله ، وذلك التراث الواسع الضخم من البطولة والهدى والتوجيه .

ويعطى الإسلام الشباب حصانة واسعة فى مواجهة الفكر الذى يقدم إليه ، فله أن يفحصه ، وأن يعرضه على دينه ، وعليه أن يتعرف على كتّابه ، وأن يعرف حياتهم وسابقتهم ، وهل هم أهل لأن يؤخذ منهم ، وأن تصدق كلمتهم ، إذ ليس كل مايقدم إنما يراد به النفع ، فهناك مايراد به الشر ، ومايراد به تزجية الفراغ ، ومايراد به اللهو ، وحياة الشباب فى حاجة إلى ثراء سريع يجعلها مؤهلة لحمل الأمانة والمسؤولية ، فعليها أن ألا تستسلم للفكر المسموم ، ولا للفكر الذى يراد به تزجية الفراغ ، وإنما على الشباب المسلم أن يبحث عن الأصول وعن القيم وعن الثروات الحقيقية التى تزود الروح والعقل معاً، بالزاد الذى يدفع عنها الشر ، ويمكن لها فى طريق الخير حتى تمر بسلام من مرحلة المراهقة الخطرة ،وهى لم تفقد الكثير من قواها ، ومن ثروتها النفسية والجسدية .

وإن من أخطر مايقدم للشباب ، ومايحتاج إلى يقظة كبيرة فى النظر إليه : تلك المذاهب الفلسفية والدعوات والنظريات التى ليست من أصول فكرنا ، وليست من ثمرة بيئتنا ، وهى التى عجزت عن أن تقدم خيراً لأهلها وقومها ، هذه التى قامت فى أمم لها نظرتها المادية إلى الحياة ، واتجاهها الخاص إلى أمور المجتمع والمرأة ، والتى هى تختلف اختلافا واضحاً عن المزاج العربى الإسلامى ، وكلها دعوات لاتدعو إلى عزيمة ولا إرادة ، ولا إيجاب ولا بناء ، وإنما تدعوا إلى أن تحل عرى الكيان البشرى واحدة بعد أخرى ، بالدعوة إلى التحرر والانطلاق، والاستهانة بالأخلاق ،وتجاوز الضوابط ، ومعارضة كل ماأعطاه الدين للإنسان ، من أجل حماية كيانه ، وحفظ وجوده ورضاء ربه .

من هذه ماتدعوإليه الدعوات الهدامة ، من أن الحياة الدنيا التى نعيشها هى الحياة ، وأن ليس وراءها حياة أخرى ، ومن هنا فإن على الإنسان أن يأخذ حظه من كل متعة ولذة دون أن يعمل حساباً لشىء آخر ، وهذه الدعوة المضللة ليست لها سند فى الإسلام الذى يعترف برغائب الإنسان ، ويدعوه إلى ممارستها ، ولا يمنعه منها . بل ينظمها له ، ويضع لها الضوابط التى تجعله قادراً على أداء واجبه فى الحياة . إنما يقال هذا لقوم تدعوهم عقائدهم إلى تحريم زينة الحياة الدنيا ، أو متعها ، هذا فضلا عن أنه ليس مما يقبله العقل أوالفطرة أن

تكون هذه الحياة فوق الأرض هي كل شيء ، وأن يكون الموت هونهاية هذه الحياة ، ذلك أن للوجود الإنسانى فوق الأرض حكمة وللإنسان رسالة ، وأن لحركة الإنسان وسعيه إلى الخير أو إلى الشر مسؤولية وتبعة ، لها بعد ذلك حسابها وجزاؤها .

ومن ثم فإن ارتباط حياة الإنسان على هذه الأرض بحياته الأخرى هو ارتباط الجزء بالكل ، وتكامل العمل والجزاء ، وليس الموت إلا فاصلاً رفيقاً ينتهى ، ولا قيمة للحياة إذا لم تكن لها رسالة يقف فيها الإنسان موقف التجربة ، ومواجهة التحدى بين أخطار الشر ودوافع الخير ، ولابد لهذه الرسالة من حساب وجزاء وأجر كبير ، للذين استطاعوا الصمود فى التجربة ، وعقاب أيضاً للذين عجزوا عن احتمال التبعة ،وسقطوا تحت أقدام الشهوات ، ولذلك فالعمل فى هذه الحياة محسوب له وزنه وتقديره ، ولن يكون أبداً انطلاقاً لا رقابة عليه.

ومن الحق أن يقال إن مثل هذه الدعوات الخطرة ، هو ماتروّجه القوى الاستعمارية والصهيونية والشيوعية كأسلوب بعيد المدى فى محاولة تدمير الجيل القادم الذى سيتولى مصائر الأمور فى هذه الأوطان بعد عقد أوعقدين من السنين ، وأن محاولة تدميره من الآن إنما يجعل أمر سيطرة هذه القوى على المسلمين والعرب سهلة ويسيرة ، فإنها تضمن من الآن أنها لن تجد مقاومة ، وأنها ستجد أمامها جيلاً هشّاً ضعيفا مدمراً فى قيمه ومعتقداته ، ومن ثم تسهل السيطرة عليه ، ويسهل احتواؤه .

(٢)

إن « المراهقة » هى انتقال جسدى وعاطفى وعقلى واجتماعى من الطفولة إلى الشباب ، أى إلى « الرجولة » أو «الأنوثة » وليس هوانتقال مفاجئ ، ولكنه انتقال طبيعى ، وتطور متدرج فى النمو، فإذا فهم هذا مرت المرحلة بسلام ، وهى فى جوهرها دلالة على أن الشباب أصبح فى مرحلة المسؤولية وتكوين الشخصية القادرة على أن تكون فى مكان العمل والتأثير والفاعلية فى المجتمع .

وخير حماية لفترة المراهقة فى حياة الشباب المسلم هى التماس العون من الله تبارك وتعالى والفهم واليقظة وتنمية المواهب والهوايات ، وشغل أوقات الفراغ ، والاتجاه إلى الإيمان والعبادة ،وإلى الثقافة والمطالعة لتوسيع آفاق النفس والعقل . كلما كانت البيئة سمحة مرنة ، وطابعها دينى خلقى ، ونماذجها القريبة طيبة ومعطية ، وكان ذلك عاملاً

على تيسير الوجهة وسلامتها .

وأخطر مايواجه الشباب فى هذه المرحلة « النموذج » الغريب الوافد الذى لايحمل معه طابع الإيمان وسلامة الوجهة ، وحسن القول ، وأمانة النصيحة ، فإذا وجد الشباب القدوة الطيبة فى البيت والمدرسة والشارع ، أتاح له ذلك قدراً كبيراً من النجاح ، وأكبر عوامل النجاح « الثقة » و« الصدق » و«الحنان » فإنها حين تبذل تخفف كثيرا من العوامل النفسية الضاغطة ، فإذا اتسعت دائرة العلم والخبرة خف عناد الفكرة ، وإذا صدقت النصيحة أغلقت أبواب التمرد ، وإذا امتلأت الحياة بالعطاء انتهى الفراغ ، وإذا وجدت القيم الربانية ، وقدمت فى أسلوب سمح محبب هزمت الدعوات الفاسدة وسدت أمامها الطريق ، فالفراغ الذى تجده نفس المراهق هوالذى يدفع إلى البحث عما يملأه ، فإذا لم يقدم الخير فى صورة سمحة بارة مرنة ، كان هناك البحث عن أى شيء ولايوجد بعد الخير إلا الشر فعلينا أن نقدم لشبابنا هذا العطاء الإسلامى فى ثوب كريم ، وفى صورة تطبيقية حتى يقبل عليه ويؤمن به .

وخيرعطاء الإسلام للشباب إقامة التوازن فى نفسه بين القوى المختلفة ، حتى لايسرف فى إعلاء جانب على جانب ، فهو جماع من الروح والمادة ، والنفس والعقل والفكر والعاطفة ، فإنه لن يجد الطمأنينة إلا فى هذه الموازنة .

والمؤمن بالله يجد دائماً من الزاد مايخفف عنه القلق ، ويهون عليه مشقة البحث عن الطريق الصحيح . والإسراف فى الأحلام أوالخيال ، من شأنه أن يباعد عن الواقع والطموح علامة الشخصية ، ولكن لابد من الأخذ بأسباب النجاح والوصول إلى الغاية المرتجاة ، وخير مايحفظ الكيان الإنسانى هو أن يتحفظ إزاء العالم الوهمى الذى تخلقه القصة أوالشاشة ، أومعطيات الصورة البراقة والكلمة المسموعة ، فإن ذلك إنما ينقله إلى جو من الخيال الذى يترك من بعد آثار قاسية من الحرمان والتطلع إلى ماليس فى الإمكان بحقيقة ، ولابأس على الشباب من أن يعايش هذا كله ، وإنما البأس أن لايفهم الآثار المترتبة عليه ، وردود الفعل ، فليواجه كل هذه الأوضاع على أنها خيال ، لاحقيقة، ولايحاول أن يستسلم لها حتى لايترك آثارها السيئة فى حياته. ومن الخير أن يحصن الشباب نفسه من الأدب الرخيص المبتذل ، والقصة المسمومة ، والأغانى الداعية إلى الشر، والكتب الهدامة ،حتى لايحرقه تيارالتحلل والإباحة وموجات الضعف

والتخاذل .

وأن من أهم مايوجه الشباب إليه من اهتمام هو تكوين شخصيته القادرة على اقتحام الحياة ، وذلك إنما يكون بالثقافة ، والتماس الخبرة المنثورة أمامه من صفحات التاريخ ، ومن تجارب الأحياء وإنما تتكون الشخصية بالتوسط بين العاطفة والعقل والتعادل بين الروح والمادة ، دون الاستسلام للغرائز والرغبات ، والقدرة على بناء الإرادة وتحريرها ، والسيطرة على معطيات النفس والجسم ، وحسن توجيهها ، فإنما هى الثروة التى إذا فقدت عاش الإنسان بعدها عليلاً ضعيفاً .

إن بناء الإرادة بالخلق والإيمان بالله ، والتقوى يجعل الشباب قادراً على تغيير الموروثات ، وآثار البيئة والاستعلاء على معوقات الشخصية السوية ، إن الشخصية البشرية كما يقول علماء الطب والنفس ولاتستكمل نموها ، ولاتبلغ ذورة هذا النمو إلا بالتحدى الدائم لذاتها ، والعمل الدائب على إصلاح عيوبها واستكمال نقائصها .

إن الشباب حين يمضى يجد أمامه طريق الخير وطريق الشر، أما طريق الخير فهومحفوظ بالصعاب والضوابط ، ويتطلب مشقة فى تثبيت الخطوة ، ولكنه موصل إلى امتلاك القوة والصحة والحياة الطيبة ، أما طريق الشرفإنه سهل ويسير وفيه امراء وبريق ، ولكنه يهدم الشخصية ويحطمها . وصاحب الهدف والرسالة المؤمن بالله الذى يعد نفسه مستجيبًا لأمانة الاستخلاف فى الأرض ، من شأنه أن يجنب نفسه الإسراف فى تبديد تلك الثروة فى هذا السن الباكر، فإنه سيحتاج إليها إذا علا به السن ، وسيندم على التفريط فيها، فهذا هو الكنز الذى يتوجب أن يحافظ عليه لينفق معه ، إذا ماتوقف العطاء ، وليست المحافظة على مفهوم الإسلام هى الزهادة أوالرهبانية ، ولكنها الاعتدال والمرحلة الوسطى بين الإسراف والتقتير .

إن من حقه أن يأخذ مايشاء فى حدود ماأحل الله ، فإن من شأن هذا أن نحفظ العقل والقلب ونحفظ الجسم أيضًا .

إن هذه الغرائز التى تعيش فى أعماق الإنسان إنما هى قوة سلح الله تعالى بها الفرد لخيره وخير المجتمع إنها هى التى تحميه من أخطار الفناء . ولكن استعمالها يجب أن يتم تحت رقابة العقل ، وفى إطار الوعى الكامل فلا تتحول غريزة البحث عن الطعام إلى

الشره ، ولاغريزة الإنسان إلى التحلل والعدوان ولاغريزة الادخار إلى الطمع والشح ، ولاغريزة الظهور والسيطرة إلى الخيلاء والكبر، ولاغريزة الغضب والمقاتلة إلى الجنون وسفك الدماء ، ولاغريزة حب الاستطلاع إلى البحث عن عيوب الناس ، ومن حق كل إنسان أن يكون حراً ، فهو حق طبيعي ، ولكن لكل حق ضوابط وضابط الحرية ألا تكون عدوانًا على حق الآخرين .

والإسلام يقرر أنه إذا اصطدمت الحرية بالحق أوبالخير(خيرالفرد أوخيرالأسرة أوخير الجماعة) ، فإن الحرية الفردية تقف وتنكمش ، وهناك ممنوعات رئيسية لاسبيل إلى تجاوزها ، ولاإيجاد تأويل من النصوص لتبريرها وإباحتها :هى الزنا، والميسر، والربا والسُّكْر بالخمور ، والمخدرات ، هذه الأمور مرزولة لدى الإنسان الكريم والعقل السليم ، والنفس الطيبة ، والدليل أنها لاتمارس إلافى الخفاء ، وما حرمها الإسلام إلا لأنها تهدم الشخصية الإنسانية وتورد مقترفها حدود الهلاك ، ويريد الإسلام أن يحمى هذه الشخصية (عقلاً وروحاً وجسماً) ويستبقيها سليمة قوية لتؤدى رسالتها ، وليكون صاحبها قادراً على أداء واجبه ، وحمل أمانة الحياة ، ولاخير فى حياة يكون صاحبها عليلاً مريضًا مضطرباً .

وليس صحيحا مايقال من أن احتماء الإنسان ، بالأخلاق ، أوكظلم الغيظ ، أوالتحفظ دون التردى فى الرذيلة ليس صحيحا ، إن هذا يضر بكيان الإنسان ، بل العكس هو الصحيح ، وليس صحيح مايقال من أن توجيه حياة المراهق وحمايتها من الزلل له أخطار ، فتلك دعوات يريد بها أصحابها إطلاق الناس على الأهواء وإلا فإن الدين دعوة إلى الضبط والكظم فى حدود الوسع والاقتدار الذى تملكه الشخصية الإنسانية من أجل الحفاظ على كيان ذاتها .

ولاريب أن النجاح فى الحياة يعود أساساً إلى مصدرين : الإيمان والتقوى :

فالإيمان بالله هو أساس الفضائل وسنة العزائم فى الشدائد ، ونور الأمل فى الصدور، وعماد الرضا وسكينة النفوس إذا أوحشتها الحياة ، وعزاء القلوب إذا نزل الموت ، وهما ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية ، ومعرفة الله هى عصا التحويل التى تنقل الفرد من حال ، وحسن الاعتماد عليه وحده هو أظهر علامات الإيمان الصادق .

والتقوى هى ذلك الخلق النفسى الذى يجعل من الإنسان رقيباً على نفسه فى كل تصرف من تصرفاته ، وفى كل جانب من جوانب سلوكه ، والتقوى هى السلوك الصحيح السليم من كل ناحية ، وأداء حق الله فى العمل والاستقامة والتفانى فى أداء الواجب، والترفع عن الدنايا ، وكل هذا من مصادر الإيمان فى الحياة .

وهكذا فإن النجاح فى الحياة ليس حظًا يساق إلى الإنسان ، ولكنه استعداد وعمل وإرادة وخلق ، وقوة الخلق هى العامل الأول ، هى الاستمرار والمثابرة ، والدأب والصبر وعدم اليأس .

ليس المطلوب هوالوصول إلى الذروة ، ولكن العبرة بالوصول إلى الوسط والعطاء على قدر العزيمة وليس معنى الصبر الاستسلام والخضوع ، بل هو اليقين بالنصر ، والمحاولة المتجددة دون يأس ، والصمود فى وجه العقبات ، والإنسان بالصبر يكون قادرا على العمل إذا أصابه الإخفاق فيعاود الكرّة ، مؤمنا بنصر الله تبارك وتعالى بين الصبر والإيمان ، فالصبر خلق إيجابى ، وقوة ورجولة وليس عجزاً واستسلاماً .

(٣)

إن هناك مفاهيم كثيرة أصبحت كالمسلمات علينا أن نصححها حتى تستقيم لنا القدرة على مواجهة الحياة ، إن على شبابنا أن يتقبل النقد ، ولايضيق به ، ماهو النقد : إنه وجهة النظر الأخرى التى قد يستفيد منها فإذاجاءت من صاحب الخبرة ، وغير صاحب الهوى فهى معرفة أوسع وأفق أرحب ، وعلى شبابنا فى الحكم على الأمور أن لايندفع وراء العاطفة أو الغاية الخالصة ، أوالرغبة والهوى ، ويجعلها مصدر أحكامه ؛ فإن ذلك ليس مقياساً صحيحاً ، ولاميزانا سليماً .

وليكن الشباب قادراً على أن يربط بين التجدد والأصالة ، وأن يقبل الحركة والانفتاح والتلقى مع الاحتفاظ بقاعدته الأساسية فى الإيمان بالله العظيم ، والقيم الثابتة ، وعلى الشباب ألا يجعل التفاخر بالعصرية ، والتقدم طريقاً إلى تحقير الإسلام والقرآن ، وتاريخ الإسلام واللغة العربية ،ولا أن يستخف بالصلاة والصوم ، والإنسان القوى هو الذى يكون مؤمنًا أولاً بدينه وأمته وتراثه ، ولايرى فى الانتساب إلى ذلك نقصا ولا تعارضاً مع العصرية ، بمفهومها الحق ، فلا تعارض بين الإيمان بالله وبين التقدم .

وإذا كان هناك من يفاخر بالإلحاد وهو شر ، فهل نستحي أن نفاخر بالإيمان ؟وهو حق وشرف ، إن أمتنا لها أمجادها وتاريخها ، ولقد قدمت للإنسانية أشرف القيم وقدمت للبشرية العلم التجريبي والتحرر من عبودية الوثنية ، ومن ثم استعباد الإنسان ، وسوف تكون قادرة على أن تقدم في القريب هذا الدين الحق إلى البشرية كلها ، ولكن أخطر الأخطار عليها . هو : أن تتخلى عن مقوماتها ، أو تنصهر في القوى التي تحاول أن تسيطر عليها ، فلكل مجتمع مقوماته ومكوناته التي تختلف عن مجتمع آخر ، فلتتحرر النفس المسلمة من عبودية الإعجاب بالغرب ، ولتحذر الاندفاع في اتجاه الترف والرخاوة والتحلل ، ولنتجاوز فرويد ، وماركس ، وسارتر ، إلى الآفاق الإسلام الرحبة.

أما الترف فإنه بغيض لأنه يقتل الشخصية ، ويحول صاحبه إلى الضعف والجمود ، وقد نعى الله تبارك وتعالى على المترفين ، ودعا إلى البساطة مع النظافة والطهارة ، والرجولة مع التواضع والبذل ، ومن شأن الترف أن يحول بين الإنسان وبين أداء الواجب ، ويسلب الخشونة والقدرة والحركة ، ويجعل صاحبه أليف الضعف والرخاوة والمرض ، ويجر على الجسم المرض ، وعلى النفس السقم ، وعلى الشباب أن يحسن اختيار أصدقائه ، وأن يقيم الاختيار على أساس القيم والخلق ، وأن يقترب من المتدينين ذوي الأخلاق ، ويبتعد عن المسرفين في الجدل ، أو المبالغين أو المغرورين ، والنفس المؤمنة لاتحسد ، والاختلاف في متاع الدنيا لايثير الأحقاد ، وإنما مجال التنافس الحق هوالعمل الصالح صاحب العقبى في الآخرة وعند الله ، فستذهب الأموال وتبقى الأعمال ، فمن استطاع أن يقدم لأمته ولوطنه عملاً نافعاً ؛ فإنه سيجد جزاء ذلك في الدنيا والآخرة .

وليحذر الشباب من الغرور ، فهو داء العصر الوبيل، فالعالم هناك من هو أعلم منه ، والغني هناك من هو أغنى منه ، وهناك من يفوق الأنيق والوجيه ، ولم يبلغ إنسان غاية العلم والنفوس التي يملؤها الغرور ، وتحتقر الناس ،وتخشى بأنها أرفع شأناً ، تنغلق على نفسها . والسنبلة المليئة من القمح تنحني ، والفارغة ترفع رأسها ، وعلى الإنسان أن يكون هو نفسه فإذا رأى خطأ أوشراً أومنكراً فلا يقل هكذا يفعل الناس فأفعل ، فإنما

يحاسب الإنسان بمفرده وعن عمله ولايحمل المجتمع مسؤولية خطأ الفرد ﴿**وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا**﴾[1]. إن المسلم المؤمن المثقف هو القدر أن يتحرر من الخطأ الجماعي فإذا تبين له الحق غيرطريقه الأول في مرونة ويسر ، إن المسؤولية فردية ، ومن حق الإنسان أن يكون إيجابيا قادرا على اجتياز الطريق الصحيح ، وكل إنسان يخطئ ولكن باب التوبة مفتوح دائما.

فليس هناك مايشغل النفس أويعقدها ، فإنها تستطيع أن تتحرر من خطئها في التَّوّ واللحظة ، وعلينا أن نحسن صحبة أبنائنا وأمهاتنا وأهلينا ومعلمينا وجيراننا ، ولنؤمن بأن الأب هورأس الأسرة ، وأن بيده مقاليد السفينة ، وأن الأمور لاتسير إلابربانه .

والمسلم لايعرف اليأس ، ويعاود الكرة ، فلا يتصل اليأس إلا بالقلوب المهزومة الفارغة من الإيمان بالله ، أما المؤمنون فإنهم دائماً آملون ، ومن اليأس يجيء التشاؤم والقلق، والمسلم يعقل الأمرويتوكل على الله ، فلا يهمل الأمر اتكالا على أن القدر يحفظه، والمسلم لايباشر عملاً قبل الاستعداد له ولايترك عملا اتكالا على ماسيجيء به القدر ، فالعاقل من عقل وتوكل ، والاعتماد على الله رأس الأمر كله ، فلا تخشى مواجهة الناس مادمت على حق ، واحمل حاجتك فإنك أولى الناس بها ، وتجويد العمل مع الإبطاء خيرمن الإسراع فيه مع سوء أدائه ، وإخلاص العمل لله شرط من شروط نجاحه وفاعليته ، والعجلة تفسد العمل ، وتورث الندامة ، والتروى مع التجويد أدعى إلى النجاح ، ولايقنط المسلم من رحمة الله ، فإن أخطأ فإن اللله غفور رحيم وكل بنى آدم خطاء ، والإسلام يسر، وليحذر المسلم ممن يقنطه فى رحمة الله أويجره إلى الخطأ ممن وقعوا فى الإثم ، فلا يصدق تهوينهم بالدين وحدوده ، ولايجعلهم حجة على المفاهيم الصحيحة ، وهم أبعد الناس عنها .

ويقول العلماء أن الشباب بقواه العقلية وحدها لايستطيع أن يضبط نفسه ، وأن يأخذها بالاعتدال فهومحتاج إلى وازع من الأخلاق يحبب إليه الخير وينهاه عن المنكر، والدين وحده هو أثبت قاعدة لتنمية الفضيلة وأضمنها .

وعلى المسلم ضبط الغريزتين :غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وعلى المسلم أن

---

(١) مريم : ٩٥ .

أن يكون نافعاً لكل من حوله كالشجرة المظلة يعطى ويبذل الجهد فى سعادة الآخرين ، وأهله أحق بعطائه ، وليعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وماأصابه لم يكن ليخطئه .

وليطلب المسلم الحوائج بعزة النفس ، فإن الأمور تجرى بالمقادير، ومن أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره ، فليس من الإسلام ، وإنما يعمق الإيمان ، ويؤكده أن يؤمن المسلم برقابة الله وعدالته واطلاعه عليه ونظره إليه فإن هذا الإلهام يبعث يقظة فى الضميروحياة فى الشعور ، وأن المسلم يرى أن وراء إرادته إرادة الله الغالبة ، وإن وراء تقديره تقدير الله النافذ ، والمؤمن دائماً لاييأس على مافاته ، ولايفرح بما آتاه الله .

والمسلم قادر على أن يقول كلمة الحق ، وإذا سيم الخسف أن يقول « لا » ولايكون المسلم إمعة :« يقول إذا أحسن الناس أحسنت ، وإذا أساؤوا أسأت » ، وعليه أن يطابق دوماً بين الكلمة والسلوك .

قال عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عباس : « يابنىّ إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن الله ، ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلابشىء قد كتبه الله لك ولواجتمعت على أن يضروك بشىء فلن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

سادسا : رسالة الشباب المسلم

(١)

على الشباب المسلم أن يعرف وجهة العمل للإسلام .

إنه فى ست قضايا كبرى غيرت القوى الاستعمارية مفاهيم المسلمين : فى القانون ، والاقتصاد ، والسياسة، والتعليم ، والقومية ، والمجتمع ، والمرأة .

ففى القانون : فرضت القانون الوضعى ، وحجبت الشريعة الإسلامية ، وفى الاقتصاد : سيطر النظام الربوى المصرفى بشطريه الرأسمالى والماركسى ، وفى المجال السياسى : سيطر النظام الغربى الديمقراطى اللبرالى على المسلمين ، وفى التعليم : سيطرت مناهج الغرب فى التعليم على أصول التربية الإسلامية ، وفى مجال العروبة : سيطرت مفاهيم القومية الضيقة ، والأقليمية والوطنية ، والعنصرية والعالمية على مفهوم الإخاء الإسلامى الأصيل ، وفى مجال المجتمع والمرأة : سيطرت مفاهيم المدرسة الاجتماعية الغربية القائمة على المادية ، والتحلل ، والإباحة ، والفصل بين الدين والمجتمع ، وبين المجتمع والأخلاق .

وتجدنا الآن بإزاء أخطار بالغة تهدد الفكر الإسلامى عن طريق التغريب والغزو الثقافى الغربى تستمدجذورها من الفكر اليونانى الإغريقى الوثنى خاصة فيما دعا إليه (أفلاطون) فى الجمهورية من جعل السلطة فى يد طائفة من الناس يتميزون بالدم الخاص ، ويتصاهرون فيما بينهم ، ويلدون أطفالهم بصورة جماعية ، ثم تربيهم الدولة محافظة على سلامة الجنس الممتاز ، وماردده أرسطوبعد أفلاطون من تقسيم المجتمعات إلى سادة وعبيد ، ودفاعهما عن الرقيق ، وما أورده سقراط من مفهوم خطير يقوم على الانحراف الخلقى مماصبغ الحياة الفكرية والاجتماعية اليونانية بطابعه ، ثم انتقل إلى الفكر الغربى الحديث ومن الحق أن الفكر الإسلامى يعارض هذه المفاهيم ولايقرها ، ولكن مذاهب متجددة ظهرت فى الفكرالغربى أخذت تصوغ هذه المفاهيم بأسلوب جديد تحت اسم الحرية ، وتحت اسم حرية الفكر ، وتحت اسم حرية العلاقات الاجتماعية ، وإنكار الأسرة ، واحتقار الأبوة ، وماتميز به من كتابات فرويد وسارترودوركايم .

وهكذا يواجه المجتمع الإسلامى اليوم تحديات خطيرة ، ومعضلات قاسية نقلت إلى أفقه من مجتمع غير مجتمه، ومن فكر له منطلقاته ومفاهيمه وعقائده ، من شأن هذه

التحديات أن تؤثر فى النفس الإسلامية من حيث الإيمان والإلحاد ، ومن حيث التقوى والإباحية ، وتحاول فى مجموعها أن تنكر المسؤولية الفردية ، وأن تعزى الإنسان المعاصر بأنه غير مسؤول أومحاسب ، ونحن إزاء هذه المحاولات على رأى واضح ، ومنهج محدد، هو أننا نمتلك الإرادة الخاصة التى سنحاسب على كسبها ونلقى جزاءها ، وأن الإسلام قدم للبشرية مفهوماً واضحاً صريحاً لمسؤولية الإنسان وكسبه ، وجزائه الأخروى ، ورسالته فى الحياة بوصفه مستخلفا لإقامة المجتمع الربانى فى الأرض ، ولا علينا من النظرية الغربية الوافدة التى هى من صنع قوم آخرين أقاموها على مقياس مجتمعهم ، وابتدعوها فى ظل تحدياتهم التاريخية ، وخصومتهم لتفسيرات الدين التى دفعتهم إلى الانفصال عنه ، والتماس الحلول من الفلسفات وحدها .

إن الفكر الإسلامى بأصالته الربانية وجذوره الممتدة فى التربة خلال أربعة عشر قرنًا، وقيامه على الفطرة والعلم والعقل ، كان قادراً دائماً ، وفى أشد مراحل التخلف والضعف على المحافظة على ذاتيته ، والحيلولة دون انصهاره فى الفكر الأممى والعالمى .

ولابد أن تواجه النفس الإسلامية فطرتها وأصالتها ، وأن تلتقى مع مناهج الإسلام وحلوله التى قدمها فى مختلف القضايا والمعضلات .

هذه المناهج القادرة على إعطاء البشرية هداها ونورها ، وإزاحة مانعيش فيه من قلق وضياع وغربة مما تطرحه الفلسفات المادية ، وتروج له .

إن الليبراليين يحاولون خداع المسلمين بالقول بأن الإسلام ديمقراطية ، والماركسيون هم الآن يحاولون نفس المحاولة بأن الإسلام اشتراكية .

والواقع أن الإسلام هو الإسلام : دين الله الخاتم الخالص المنزل من السماء ، المستعلى على الأيدلوجيات والنظريات البشرية ، يحاول الماركسيون خداع المسلمين بأن الماركسية والإسلام يلتقيان فى العدل الاجتماعى ، وأن الغربيين الليبراليين يحاولون خداع المسلمين بأن الديمقراطية والإسلام يلتقيان فى الشورى ، وكلا من الأمرين فيه تمويه وزيف كبير ، فلا العدل الاجتماعى فى الإسلام مشابه للماركسية ، ولاالشورى الإسلامة مشابهة للديمقراطية ، والتمثيل النيابى .

ونحن نعرف أن الاستعمار والصهيونية والماركسية يتعاونون على هدف واحد ،

وإن اختلفوا فى مطامع السيطرة . هذا الهدف هو تدمير المعنويات والأصالة والذاتية فى الأمة الإسلامية حتى تخضع وتدخل دائرة الاحتواء ، وتنصهر فى الأتون اللعين : أتون الأممية . ومن ثم تفقد ذلك الشيء الذى يميزها ويجعلها أمة لها قدرتها الخاصة على إقامة كلمة الله ، وعلى العمل لإقامة المجتمع الربانى .

إن هدف النفوذ الغربى المثلث الوجهة (استعمارية وماركسية وصهيونية) هو إدخال المسلمين فى الدائرة الغربية المغلقة ، وإخراجهم من الدائرة الربانية الموسعة الجامعة ، مستهدفاً حصرهم واحتواءهم .

ولقد جرب المسلمون أسلوب الغرب فى الديمقراطية ، وأحس العالم الإسلامى أنها جسم غريب ، ثم جاءت الموجة الأخرى المتابعة لها ، وهى الماركسية ، ورفضها الجسم الإسلامى والعقل الإسلامى ، وأثبت الروح الإسلامى أنه غير قابل للاحتواء والانصهار فى أى النظامين .

لقد كانت تجربة تطبيق النظام الغربى فى المجتمع والتعليم والسياسة والاقتصاد والقانون كانت مصدرا للهزائم المتوالية التى وقعت فيها البلاد ، نكبة ونكسة وهزيمة . واحتلال فلسطين والقدس ،كانت أفكار القومية والإقليمية والتجزئة مصدر التمزق والهزيمة .

لقد كانت الهزيمة نتيجة هجر المنهج الإسلامى ، منهج الأصالة والذاتية ، والانصهار فى مناهج الغرب التى لم تكن صالحة لأهلها ، ولا محققة لهم قيام المجتمع الأمثل ، إن الذى هزم هو التخطيط العكسرى ، والسياسى الوافد .

أما الإسلام فإنه لم يكن موجوداً أومطبقًا حتى تنسب الهزيمة إليه ، بل كان قد أبعد تماما وحوصر . إن التجربة مع الغرب بشعة يجب أن تصنع تحت أعيننا فى فجر القرن الخامس عشر رصيداً ضخما من الوعى واليقظة والحذر ، تجاه فكرة التبعية والتقليد فى أنماط الغرب : الترف والاستهلاك والانحلال والتمزق والغربة والغثيان وهى ميراث الفكر الغربى الوافد الذى يقدم لنا عن طريقين :

عن طريق مترجمات غثة رديئة لاتختار إلا الإباحية والسموم والانحراف ، وتدع كل ماهو إيجابى ، وصالح ، ونافع ، ثم إنها تقدم لنا على إنها مسلمات وحقائق ، وهى لم تبلغ بعد درجة النظرية ، وليس درجة العلم ، إنما هو ركام شديد السوء تقدمه أقلام مليئة بالحقد والكراهية والتعصب ، مدفوعة إلى تدمير المجتمعات الإسلامية وهزيمة القيم الربانية ، وإثارة

الشبهات والشهوات والإباحيات فى محيط يتحصن بالأخلاق .

ولقد علمنا الإسلام أن نقف من المعارف المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح على قيمها الحقيقية ، وعلى مصادرها وعما إذا كانت نافعة أوضارة ، إيجابية أوسلبية ، وأن علينا أن نرفض الزيف والتفاهات ، وأن نعرف أن لنا من العلوم موقفاً ، وأن لنا من الفكر البشرى موقفاً ، هذا الركام الزائف المنشور فى كتيبات تباع على الأسوار موقف آخر ، وعلينا أن نفرق بين العلوم والفلسفات ؛ فالفلسفات نظريات فردية ، قوامها فروض تصح وتخطئ ، وهى مرتبطة عادة ببيئاتها وعصورها ، وليست صالحة لعصور أوبيئات أخرى ، لأن جانبها الذاتى بالأضافة إلى صدورها عن تحديات مجتمعها وعصورها ، كل هذا يجعلها أقل صلاحية لأن تكون إنسانية أوعامة .

والعلوم التجريبية شىء آخر غيرالفلسفات وغير الثقافات ، إنها مجموعة من الحقائق العلمية ، أما مترجمات الفكر الغربى فيجب أن تقدم للشباب المسلم مسبوقة باستعراض لها ولظروفها ولمخالفاتها الواضحة لفكرنا ومجتمعنا ، فإذا قدمنا لهم ماركس أوسارترأوهيجل أوفرويد ، فعلينا أن نقدم ذلك فى إطار عصره وبيئته ، وأن نقدم معه خلاصة فكرنا ، ووجهة نظرنا فى هذا العمل ، أوذاك ، ذلك أن للفكر الإسلامى منهجه ومنطلقه وطابعه الخاص به ، وهو مختلف عن مناهج ومتطلعات وخواص . وطوابع الفكرالغربى الذى مر بمراحل مختلفة ، تركز فى صورة عديدة .منها الاقتصاد، والنفس، والاجتماع، والقانون ، وكلها تختلف عن مفهوم الإسلام .

فلتكن هذه رسالة الشباب المسلم : حذردائم من كل مايقدم إلينا من مترجمات ، أما ما تكتبه الأقلام العربية من مصدر ولاء للفكر الغربى أوالفكرالماركسى ، فإن علينا أن نعرف موقف الإسلام من كل ما يقدم لنا ، وألا تختلط علينا المفاهيم فتجرفنا إلى مايخرجنا من طوابعنا وذاتيتنا ، وذلك حتى لانسقط فى فخ الفكر العالمى الأممى الذى يستهدف صهرنا وإذا بتنا فى بوتقته حتى تضيع تلك الصفة الخاصة التى يتميز بها المسلمون بالإسلام.

(٢)

ومن رسالة المسلم أن نعرف واجبنا تجاه هذه الأجيال الشابة الجديدة التى تلقت مفاهيم الحياة عن مسرحيات التلفزيون ، وروايات الشاشة ، والتى تواجه الحياة ، وكأنها لعبة

أوتسلية ، أوساحة هزل وضحك ، يلبسون مايشاؤون ويتحدثون كما يشاؤون ، كأنما ليس فى هذه الحياة إلا المتعة واللعب واللهو، هذه النظرة المنحرفة إلى الحياة التى لاتقدر المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان ، ولا الأمانة المنوطة به ، وهى النظرة التى طرحتها تلك الأهواء التى تحملها الحضارة المادية ، والتى تكاد تعزل شبابنا عن المفهوم الحقيقى للحياة ، والرسالة الصحيحة للإنسان فى الحياة البشرية ، ليست فى الحقيقة لعبة ولالهواً ، وليست مزاحاً يمضى فيه الناس كما يشاؤون ساعات لاهية في شراب أولهو ، ثم نوم ثقيل ، وحركة كسولة وطعام مسبوك ، بل الحياة مسؤولية وجدّ ، وآذان يؤذن للوقت حينما يحل بحيث يعرف الإنسان أن وقته محسوب عليه ، فالإنسان الساذج البسيط الذى يأخذ الحياة على أنها متاع وترف وحديث طويل ، وسهرات ضاحكة وأهواء ، إنما يعبث بأعز ما يملك ويدمر شخصيته ، وينسى مسؤوليته فى الحياة ، وعندما تهزل الحياة وتدخل مراحل التراخى والترف والتحلل تنشغل الأمم بالأساطير والقصص والروايات والأحاديث الواهية الخرافية تبحث عن ذلك الركام المدفون الفاسد لتجدده وتكذبه. هذا القديم الذى كان لعصره يوم كان عصره قاصرا عن فهم الواقع الحى ، وعن فهم الحياة ، ومنحرفا عن رسالة الرسل ، وكلما جاءت الحقيقة الربانية جيلاً بعد جيل عن طريق الأنبياء والرسل ، كانت تقضى على هذه الأساطير والخرافات ، وتنهى وجودها ، ولكن البشرية كانت سرعان ماتعود إلى الأساطير وأهواء النفس .

ولما جاء الإسلام أنهى طفولة البشرية ، وبدأ عصرالرشد الإنسانى ، ولكن قوى النفوذ الأجنبى ماتزال تتشبث بذلك الركام لتعيد الإنسانية مرة أخرى إلى طفولة البشرية ، ولتنسى ماأعطى لها من منهج الحق والخير، فهل البشرية لاتريد أن تسلم وجهها إلى الله تبارك وتعالى ، وتريد أن تعود القهقرى إلى الأساطيروالخرافات الوثنية انسلاخاً من الواقع الحى الصحيح ، وإخلاداً إلى الأرض الموات ، وهروباً من الحقائق المضيئة التى تضع الإنسان أمام وجوده وسعيه وكدحه ارتداداً إلى الخواء والاسترخاء والغفلة والبعد عن التفكير والتأمل فى صنع الله ؟

لقد جاء الإسلام داعياً إلى التفكروالتذكر، وتركيز الحواس فى الحياة عملاً وإنتاجاً وسعيًا ، ولكن الإنسان فى هذا العصر يريد أن ينحرف عن طريق الحق إلى الترف والاسترخاء، والتحلل هرباً من مهمته ومسؤوليته .

(٣)

ومن أخطر المحاولات التى تحتاج إلى الانتباه الوافر :هى محاولة وضع الإنسان المسلم فى موضع تبرير القيم الغربية باسم سماحة الإسلام ، وانفتاحه وقابليته للجديد ، ومسايرته لظروف الأمم والحضارات .ولاريب أن للإسلام قواعد كلية لاسبيل إلى النزول عنها وبخاصة فى مسائل الربا والحدود ، وعلاقة الرجل بالمرأة ، وعلاقة الأسرة بالمجتمع. كذلك فللإسلام أصول ثابتة فى المعاملات ، كل ذلك ليس موضع التبرير أو التأويل ، لأنه هو الدعامة الصحيحة للمجتمع الإسلامى ، أمافيما عدا ذلك فإن هناك محاولة للاجتهاد ، هذا فضلاً عن سعة الأطر ومرونتها التى تجعلها كفيلة بالصلاحية لكل البيئات والعصور ، والمعروف أن النظرية الغربية أياً كانت فى مجال الاقتصاد أوالاجتماع أوالنفس ، أوالأخلاق هى استجابة لتحديات مجتمع بعينه ، له مشاكله أو أزماته وقيمه وعقائده ، وقد قامت على مقياس ذلك المجتمع وحجمه ، ومن خلال واقعه ، فكيف تصلح بمجتمع غيره ، فضلاً أنها قامت فى مرحلة أزمة وضعف وانحلال فى ذلك المجتمع ، ولم تكن من معطيات عصور القوة والبناء ،فعلى المسلم أن يتنبهوا إلى هذه المحاذير .

هناك محاذير خطيرة تتضمنها محاولة التغريب والغزوالثقافى ، وعلينا أن نكون واعين لأهدافها :

أولا :هناك دعوة إلى نبذ الماضى والتاريخ والتراث ، ووصفه بكلمة قديم ، وهم من خلال هذه العبارة الغامضة يحاولون هدم الإسلام ، وفى نفس الوقت الذى يدعون فيه إلى نبذ القديم المتصل بالإسلام يدعون إلى إحياء الماضى الوثنى والجاهلى السابق للإسلام ، والذى تلاشى تماماً ، ولم يعد له فى ضوء الإسلام بقاء بعد أن سحق الإسلام فلولا بابل ، والمجوسية والغنوصية والهلينية ، وتأليه البشر ، وعبادة الأجساد ، والبطولة البشرية .

ثانيا: هناك دعوة إلى مهاجمة الفصاحة العربية ، والخطابة ، والشعر العربى ، وهى محاولة واضحة الهدف ؛ لأنها حين تقصد إحياء العاميات ، إنما تستهدف البيان

القرآنى ، وخلق لغة أقل من مستواه حتى ينفصل المسلمون عنه ، ويعجزوا عن فهمه .

ثالثا : إن مفهوم البطولة الإسلامية لايستمد مفهومه من نظرية لمبروزو أوفرويد أوأميل لدوفيج ؛ولكنه يستمد وجوده الحقيقى من أثر العقيدة والتربية الإسلامية ، فهى التى أعادت بناء الأفراد من جديد بناءً مستأنفاً كما حدث لعمرو سعد وخالد والخنساء ، وتقدير البطولة فى الإسلام يرتبط بالعمل ، وليس بالفرد ، وليس فى الإسلام بطولة تسوق صاحبها للحرب من أجل امرأة كمافعل (أخيل) فى الياذة هوميروس .

والبطولة فى الإسلام تقوم على تخليد الأعمال لاتقديس الأبطال ، والأمر ماقال أبوبكر يوم أن اختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله لايموت .

رابعا : إن أى حديث عن الصراع بين العلم والدين فهو عن دين غير ديننا ، وعن أفق غير أفق فكرنا ، أو مجرى تاريخنا ، وعن محيط غير محيطنا ، وهى تحديات لم يعرفها الإسلام فى تاريخه ولا مجتمعه .

خامسا : ليس فى الإسلام مايقال من أن نشر العلوم والثقافات هوبديل عن التربية والتهذيب الخلقى ، ذلك لأن العلم سلاح ذوحدين يصلح للهدم والتدمير ،كما يصلح للبناء ، والتعمير ، ولابد لكى يتحقق استعماله استعمالا صحيحاً من أن يتم ذلك فى إطار الأخلاق ، وخير الناس ، وعمارة الأرض وتقوى الله .

سادسا : القول بأن كل دين قابل للتطور وملاءمة العصور لاينطبق على الإسلام؛ لأن الفكر البشرى هو وحده الذى يتطور ويطوره أهله ليوافق العصور والبيئات ، أما الدين الإلهى فإن الخالق تبارك وتعالى قد أقامه فى إحكام وتقدير ، وجعله قادراً على مواجهة أبعاد المجتمعات والعصور، لقد وضعه الحق تبارك وتعالى فى أطر واسعة مرنة قابلة للحركة والتجدد ، أما القول بالتطور فى مجال الأخلاق والشرائع ؛فإنه يجعل من الدين مجموعة من المبادئ النسبية التى ليست حقائق مطلقة تتطور وتتطور إلى مالانهاية ، وهذا ما لاينطبق على الإسلام .

سابعا : إن أى منهج وافد سيلقى فى أفق الفكر الإسلامى خيبة وفشلا، وأن الماركسية والديمقراطية الغربية والصهيونية قد عجزت جميعها ، أن تقدم للمسلمين والعرب مايملأ

أفئدتهم باليقين ، أوقلوبهم بالثقة ،وقد لقيت مذاهبهم صعاباً جمة فى مواجهة الفكر الإسلامى الأصيل الذى استمد مضمونه من منهج محكم ربانى تعجز أى المناهج البشرية أن تقتحمه أو تستوعبه ، أوتسيطر عليه ، وأن هذه المناهج حين تطرح نفسها فى أفق الفكر الإسلامى ، فإنها سرعان ماينكشف نقصها ، ويتبين عجزها عن العطاء الذى تتطلع إليه النفس الإسلامية من خلال مفهومها الجامع المحكم الذى أمدها به الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، والذى مهما نحى عنها وزيف لها ، فإنه قائم فى أعماقها ، متجدد على أيدى المصلحين والقادة .

ومن هنا كانت يقظتها الواضحة اليوم إزاء انبعاث الأصالة ، وتطبيق الشريعة الإسلامية.

سابعا : ماذا يقرأ الشباب المسلم

إن القراءة هي زاد الشباب المسلم المثقف ، ولذلك فهي فن يجب أن نتناوله بعناية وحذر ، فلا تقرأ كل شيء ، ولاتزر هينا الأسماء اللوامع أوالورق الفاخر ، وليكن دليلنا دائما أن تقرأ الكاتب قبل كتابه، فإذا طبقنا علم الجرح والتعديل استطعنا أن نعرف مدى إيمان الكاتب وصدق انتمائه إلى أمته وفكرها . وهذا هو مانتقبل منه عطاءه ، أما غيره فلنكن على حذر ، فإذا قدم شيئا نافعا فلنقبله إيماناً بأن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها ، ولنكن على إيمان كامل بأن الكاتب الصادق يستمد قوته من الحق ، ويستمد مظهره من تراث الأنبياء والأبرار في دعوته وهدفه وكتاباته مطابقاً للآية الكريمة :﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علُوّاً فى الأرض ولا فساداً**﴾[1] .

فهو لاينكر العلم ولايكتمه ، وهو فى نفس الوقت لايشترى بالحق ثمنًا قليلاً ، ولايكون أبداً أداة لتزييف الحق ، أو تضليل الخلق ، أوإعلاء شأن الأهواء ، وخداع الناس تحت عناوين الفكر الحر أوالانطلاق أوغيرها . إن أول علامات الصحة فى حكمنا على الأمور أن نحاكم الفكر نفسه بإخلاص ، وأن يكون الكتاب المقدرون لدينا ، الأثيرون عندنا ، فنأخذ منهم ونتلقى عنهم ، هم أولئك الذين عرفوا ببياض الصفحة، وصدق الإيمان، وسلامة الماضى ، ونقاء الوجهة ، والتحرر من التبعية ، والولاء لغير هذه الأمة وفكرها .

إن هناك نظريات كثيرة سادت سلطان التغريب زمناً ، ثم سقطت ، فعلى الكتّاب الذين يتصدرون اليوم أن يعرفوا هذه الحقيقة ، إنهم سوف لايستطيعون الصمود فوق المسرح ، وتحت الأضواء إلا زمناً قليلاً ، ثم ينكشف زيفهم .

أما الكتّاب الصادقون فإنهم مهما عجزوا عن تسنم المنابر الضخمة ، والصحف الكبرى ، فإنهم معروفون بأعيانهم أن وجودهم فى الظل هو علامة على قدرتهم على التمسك بالحق ، وصمودهم بعيداً عن مغريات الأضواء .

إن الكاتب الذى يصطفيه الشباب المسلم هو القادر على أن يقول الحق ، وأن ينصح

---

(١) القصص :٨٣ .

للأمة ، وأن يدل على أن الطريق الصحيح ، وإن أخطر أخطاء الكتّاب هو التعصب الخفى المستور وراء مظاهر المنهج العلمى ، بينما تبدو الأحقاد واضحة ، ليست فى حاجة إلى من يكشف عنها ، وإن أخطر أخطاء الكتّاب هو العجز عن النظرة الكلية والكلمة المنصفة .

ولن يكون الكاتب كذلك إلا إذا كان منتمياً إلى أمته فى فكرها وعقائدها ، وصادقاً فى هداية قومه إلى الحق .ذلك أن الباطل مهما أسبغ عليه أصحابه من صور العلمية ، أوبريق العبارة ، فإنه لايقوم على أساس ، وسرعان ماينكشف ويتعرى ، والشىء المصادم للفطرة أو العلم ، أوالعقل ، أوطبائع الأشياء لايدوم . إن الكاتب بلاعقيدة كالربان الذى فقد اتجاه الريح ، وعلامات السماء ، لقد استطاع الفكرالوافد أن يخلق طبقة من الذين يبيعون أقلامهم فى كل اتجاه ، ولايرون القلم إلاوسيلة للكسب ، ولكن الأصالة كشفت زيفهم ، وأظهرت تبعيتهم ، وتبين أن الكاتب الذى يحمل أمانة هٰذه الأمة ، يجب أن يكون قادراً على التحرر من التبعية الفكرية لكل مذهب أومنهج أودعوة يمد الإسلام بمفهومه الجامع الأصيل :ديناً ونظام مجتمع ، وأن يكون قادراً على تحريرفكره من الخضوع لأى منهج وافد ، وأن يعرف أن المعرفة الإنسانية عامة ، وأن العلم عالمى ، وأن العقائد والثقافات خاصة بكل أمة، وأن يؤمن بأن هذه الأمة لها رسالة مستمرة مازالت تؤديها للبشرية ، وأنه ليس من عمل الكاتب المسلم تبرير الواقع ، بل عليه أن يضع المعالجات لإصلاحه ، وأن يدعو إلى تغييره إذا تطلب التغيير ، وأن يرد كل تغيير أوإصلاح إلى الإطار الأصيل الذى يتحرك فيه الفكر الإسلامى ،وليكن الكاتب المسلم مؤمنًا بأن الأمم إنما تستمد قوتها من فكرها ومقوماتها ، وأن انبعاث المسلمين والعرب لن يكون من خارج مقومات فكرهم وعقائدهم ، وأن الكاتب ليس بهلواناً لإضحاك الناس ، وإرضاء غرائزهم وهدهدة أهوائهم ، ولكنه جاء ليصحح الأخطاء ، ويكشف الزيف ، ويضىء الطريق إلى الحق .

وليؤمن الكاتب بأمته وفكرها الأصيل الربانى المصدر،هذا الفكرالذى رفض المنطق الأرسطى والفلسفات والوثنيات ومفاهيم الفكرالبشرى ، وأقام منهجاً جديداً هوالمنهج التجريبى فى العلوم ، ومنهج المعرفةالجامع ذى الجناحين « مادةً وروحاً وقلباً وعقلاً ، ودنيا وآخرة » وليؤمن بأن مصادر العلوم والطب والاجتماع والفلك والتربية ، قد بدأت من

نقطة الإسلام وحضارة القرآن ، وإن أزمة القلق التى يعانيها الشباب اليوم قد صدرت من الفصل بين الدين والمجتمعات ، وبين الأخلاق والتربية .

وإن أهم مافى الفكر الإسلامى هوالمطابقة بين الكلمة والسلوك ، وأن على الكاتب ، المسلم أن يفرق بين المعارف الجوهرية ، والمعارف غيرالجوهرية من ناحية ، وأن يفرق بين المفاهيم الأصيلة ، والمفاهيم الزائفة الوافدة .

وأنه لاخطأ فى الإسلام ، وإنما الخطأ فى طريقة إسلامنا ، وأن فترة ضعف الإسلام لاتمثل حقيقة جوهره ، وأن من الخطأ أن يأخذ أى قطاع من قطاعات الفكر مكانًا أكبر من حجمه كالأدب أوالاجتماع أوالسياسة ، وأن كل هذه القطاعات تتكامل داخل دائرة الإسلام ، وأنه لاتناقض فى الفكر الإسلامى بين العلم والأدب ، ولابين العقل والقلب ، ولابين الروح والمادة ؛ بل هناك تكامل وترابط ، وأن الإسلام لايعلى الجنس أوالشهوة ، وإن كان يعترف بالرغبات البشرية ، ويفتح الطريق لها عن طريق طبيعى مع وضع الضوابط والحدود التى تحول دون التتحلل والسقوط .

وإن على كتّاب الإسلام أن يغربلوا ذلك الركام الضخم ، ويكشفوا عن الأصيل والزائف ، والأساس والدخيل . وعلى الكاتب المسلم أن يكون مقاوماً داعياً إلى الله ، وليس مستسلما أومواليا للباطل ، وليعلم الشباب المسلم أن بريق الأسماء لايغنى شيئا عن الحقائق ، وأن محاولة رفع أسماء بعينها سوف تكشف زيفه الأيام ، وأن كل صيحة تعلو بغيرالحق لاتلبث أن تتحطم ، وأن الصحيح والبريق ليسا شيئًا إلا لأمد قصير : ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ [1] .

---

(١) الرعد: ١٧ .

ثامنا : التراث الإسلامى

(١)

إن شباب الإسلام لايبدأ حياته من فراغ ، ولكنه يبدأ من نقطة متصلة بميراث طويل عريض مشرف ، ملئ بصفحات الفضل والمجد التى تجعله على ثقة بأنه يستطيع فى مقتبل الأيام أن يحقق ماحقق أجداده من مجد وفضل حين حملوا مشعل الحضارة الإسلامية إلى العالمين ، فأضاؤوا المجتمعات بالعدل والرحمة ، والإخاء الإنسانى ، ونقلوا البشرية من الوثنية إلى التوحيد ، ومن العبودية إلى الحرية ، ومن البداوة إلى المدنية ، ومن ظلام الشرك إلى نور الإيمان ، وهى صفحات مشرقة مليئة بالكرامة والمجد والفضل ، وسرعظمتها هو هذا الدين الحق الذى أنشأ للأمم تلك المكانة الحقيقية ، ورفعها بالإيمان بالله فوق العناصر والدماء والأنساب ، وجعل أمجادهم بطولات حقيقية فى سبيل إقامة كلمة الحق ، وإذاعة كلمة الخير، هذا هوالموروث الإسلامى الحقيقى الذى نعتز به ، ونزدهى ونتمسك به اليوم ، ونعمل ماوسعنا على الاحتفاظ بتلك الذاتية التى مكنتنا من حمل لوائه ، والتى تعمل القوى الأجنبية على إسقاطه من بين أيدينا بتلك المحاولات التى ترمى إلى صهرهذه الأمة فى الأممية وإخراجها من ذلك الطابع الأصيل المضىء ، طابع الأمانة الكبرى التى حملها الحق تبارك وتعالى إليهم ليحفظوها ويذيعوها فى العالمين ، فينقلوا بها الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الهوى إلى الحق ، ومن الفكر البشرى إلى الفكرالربانى ، ومن حضارة الوثنية إلى حضارة التوحيد ، فلا يعجبن شبابنا تلك الصور البرقة الزاهية من حضارة الغرب ، أوتلك البطولات التى عملت فى مجال البشرية والمثل الأعلى الذى يتجهون نحوه ، أو يطمعون فيه ، أويعجبون به ، فالحق أعلى منها وأبقى على الزمن ، والأصالة أقرب إلى الله وإلى الفطرة من هذه الزخارف التى تقوم على الشهوات والأهواء والمطامع ، وعليهم أن يعلموا أن المسلمين لايصلح لهم إلا أسلوب عيشهم الحقيقى الذى نشؤوا عليه ، وعاشوا أربعة عشر قرناً ، لأنه الحق الذى جاءهم من ربهم ، ولأنه الذى يهدى إلى الخيرفى الدنيا ، والنجاة فى الآخرة .

وليعلم شبابنا المسلم أن فى أعناقهم أمانة تسلموها من الأجيال التى سبقتهم ، وعليهم أن يسلموها إلى الأجيال القادمة بعد أن يؤدوا دورهم إزاءها ويقوموا بمسؤوليتهم نحوها .

تلك هى أمانة المؤروث من الإسلام .

ولقد قام المسلمون الأول على هذه الأمانة حموها وزادوا عنها كل غاز ، وحفظوها من كل دخيل ، ودحضوا كل زيف وجه إلى أهلها على قدر استطاعتهم ، وفى حدود تحديات عصرهم . هذه الأمانة اليوم بين أيدى هذا الجيل الذى يواجه مسؤوليات أشد خطورة وأكثر عمقاً مع تعقد حركة الغزوالفكرى ، وتضافرها مع حركات أخرى متعددة منها : الاستشراق والتبشير والشعوبية والتلمودية والمادية والإباحية ، وكلها تعارض (الأمانة) معارضة واسعة ، وتحاول أن تجد فيها ثغرة تنفذ منها إلى الناس لتقطع ذلك الخيط المتصل الذى استمر وامتد منذ نزل الوحى بالإسلام على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ومنذ اختتمت آيات القرآن الكريم ، شرعة الله وأمانته إلى المسلمين يحفظونه ويدافعون عنه ، وينشرونه فى العالمين ، ويهدون إليه الأمم ، ويكشفون عن عظمته وأمجاده ومعطياته فى عالم مأزوم ، يحتاج إلى الضياء والنور والهدى ، فى أجيال يكاد يقتلها الظلام ، والشك ، والقلق والتمزق والضياع ، تلك أمانة المورث الإسلامى بين أيدى مؤمنينا ومثقفينا فهم مطالبون أولا بفهمها ثم تبينها للناس ، وهم لكى يفهموها لابد لهم من أن يبدؤوا منابع الإسلام نفسه ، وأن يلتمسوا لها جوهرالمعرفة الإسلامية وهم لن يستطيعوا أن يحموها أويدفعوها أويقدموها للبشرية ، إلا إذاكانوا هم أنفسهم قد صدروا عنها عقلاً ونفساًومزاجاً .

أما إذا حاولوا ذلك عن طريق أسلوب الفلسفة ، أوأسلوب المنطق ، أوأسلوب العلم ، أو أسلوب الإشراق أوغيرذلك من الأساليب المنتشرة المفردة والجزئية القاهرة ، فإن ذلك سوف لايحقق لهم الوصول إلى أعماق الفهم الصحيح ، ذلك أن للإسلام منهجه الأصيل فى المعرفة ، وأسلوبه الخاص فى البيان ، ذلك هوالأسلوب القرآنى .

(٢)

وإذا كان المسلمون يملكون أعظم مأأورث الله الإنسانية ، ذلك المنهج الأصيل فى بناء المجتمع والفرد والحياة ، شريعة الله الحقة : ذلك القرآن ، وتلك السنة النبوية الصحيحة ، كما قدم الإسلام منهجه الأصيل فى المعرفة وأسلوبه الخاص فى البيان ، فقد استوعب القرآن الكريم طرق المعرفة جميعا ووسائلها ، فهويجمع من طرائق العقل والقلب والنظر والمشاهدة والاستدلال ، فاستطاع أن يصل إلى مختلف العقول والقلوب والأذواق حين

ربط بين الحواس والعقل والوجدان ، ووضع أهم القواعد التى تحفظ العقل من الزيغ ، وهو عدم تجاوز الحد كما إلى التقدير والتقرير ، وعدم التعجل فى الحصول على النتائج قبل استكمال البحث والموازنة والاستقراء ، ودعا إلى التخصص قبل البحث ، وعدم المثابرة والعناد، ودعا إلى المراجعة والمعاودة والاستمساك بالحق ، والبعد عن الغرور والجهر بالحق ، والدفاع عنه .

يقول الإمام الترمذى : إنا وجدنا دين الله مبنيا على ثلاثة أركان :على الحق ، والعدل، والصدق . فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول ، فإذا افتقد الحق فى عمل خلفه الباطل ، وإذا افتقد العدل خلفه الجور ، وإذا افتقد الصدق خلفه الكذب ، فعلى ضوء منهج الإسلام فى المعرفة نستطيع أن نصل إلى أعماق الفهم ، ومن ثم نكون قادرين على بيان ذلك للناس .

(٣)

عن طريق هذا المنهج القرآنى الربانى الأصيل ، صنع المسلمون « المنهج العلمى التجريبى » الذى هو مناط الحضارة الحديثة ، لقد دعا الإسلام إلى البرهان فى كل قصته ، ودعا إلى النظر فى السموات والأرض ، وأمر بالدليل ، ونهى عن التقليد ، فوصل بذلك إلى النضج والقوة فى النظرإلى ما خلفه الفكر البشرى القديم ، فصحح المسلمون كثيرا من قضاياه ، وقد رسم البيرونى وابن الهيثم والقاضى عياض وجابربن حيان أصول المنهج العلمى ، ورسم ابن حزم منهج المعرفة ، وأقامه على شهادة الحواس (أى الاختبار) وأول العقل (أى بالضرورة) وبالعقل من غير حاجة إلى استعمال الحواس الخمس ، وببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحوس ، وأول العقل .

وقد أشار علماء الغرب المنصفون إلى عطاء الفكر الإسلامى للعلم . قال بريفولت : إن مايدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود ، وعلم النجوم عند اليونان ، ورياضياتهم كانت علوما أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم ، وأخذوها عن سواهم ، ولم تتأقلم فى يوم من الأيام فتمتزج امتزاجاً كليا بالثقافة اليونانية ، وقد نظم اليونان المذاهب، وعمموا الأحكام ، ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث وجمع المعلومات الإيجابية والمناهج التفصيلية

للعلم والملاحظة الدقيقة المستمرة . والبحث التجريبى ، كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليونانى ، ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم ، إلا فى الإسكندرية فى عهدها الهلينى ، أما ما ندعوه العلم فقد فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة ،والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صور لم يعرفها اليونان ، وهذه الروح ، وتلك المناهج أدخلتها العرب إلى العالم الأوربى ، ولم يقف بريفولت عند هذا . بل ذهب إلى العد من ذلك حين قرر أن (روجر بيكون) إلى الفكر العلمى الغربى نقل مذهب العرب فى البحث العلمى يقول : بريفولت فى نفس المصدر :

« إن روجر بيكون » درس اللغة العربية ، والعلم العربى ، والعلوم العربية فى مدرسة اكسفورد على خلفاء معلميه فى الأندلس ، وليس لروجر بيكون ولالسميه (فرنسيس بيكون) الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ، فلم يكن روجر بيكون إلارسولاً من رسل العلم ، والمنهج الإسلامى إلى أوربا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأنه علم معاصريه أن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق .

وهكذا تنكشف حقيقة الموقف بالنسبة لدور المسلمين فى مجال العلوم التجريبية ، ولم تكن شهادة بريفولت هى وحدها التى تسجل هذه الحقيقة ، ولكن هناك شهادات جوستاف لوبون ، وسيديو ، وأرنولدتوينبى ، ودرابر ، وجورج سارطون ،وسجريد هونكه، وماكس مايرهوف . وكثيرون ، وهى مسطورة فى عشرات من الكتب الحديثة (اقرأ إذا شئت صفحات من أمجادنا لكاتب هذه السطور) .

ومعطيات الإسلام لاتقف عند جانب واحد هو العلم التجريبى ، ولكنها تمتد إلى جوانب كثيرة سوى الفلك والرياضيات والجغرافيا والطب والكيمياء والفيزياء وعلم النبات . إنها تمتد إلى الفكر نفسه ، فابن خلدون سبق سميث وهيجل ، والمعرى سبق دانتى، وابن مسكويه سبق دارون ، والطرطوشى سبق ميكافيللى . والمسلمون هم الذين ابتدعوا كتابات المكفوفين ، وفى مجال الاجتماع والتاريخ والاقتصادكانت لهم أعمالهم الرائدة ، وهم الذين قدموا النظريات السياسية ، وكان لفقههم آثاره البعيدة فى القانون الغربى الوضعى .

وإذا كان ابن خلدون قد كتب عن الثروة وصور النشاط الاقتصادى ، فإن المقريزى أخرج للناس كتابا عن النقود، وكتابا عن دورات الأعمال الاقتصادية .

وعلى الجملة فقد قدم فكرنا الإسلامى إلى البشرية عطاءً إيجابيا ، فلم نكن عالة على اليونان ، كما حاولوا اتهامه ولكنه كان عطاءً مبدعاً جديداً ، وقد جنب الإيمان بالله المعارف الإسلامية الانقسام إلى دينية وعقلية ، وأن المسلمين كانوا هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين .

وقد ثبت أن الفكر الإسلامى هو فكر أمة لها مقوماتها الأساسية القائمة على مفاهيم واضحة تؤكدها شخصيتها وهوفكر مفتوح قابل للأخذ والعطاء على قاعدته الأساسية التى تحمل طابعه وذاتيته ، وتحول دون انصهاره فى ثقافات الأمم

ولاريب سيقوم الفكر الإسلامى بدوره مرة أخرى فى بناء عالم جديد من العدل والرحمة والإخاء الإنسانى على قاعدة التوحيد الخالص .

وبعد :

فإن شبابنا المسلم اليوم هو هدف من أهداف أعداء الإنسانية ، وخصوم الأديان كلها، وكل مايوجه إليهم من سهام الغزوفى عقائدهم وقيمهم عن طريق الكلمة أوالصورة أوالشاشة ، إنما يراد به هدم هذه الأجيال وتدميرها حتى تسقط حلقة الإسلام فى أيدى أعدائه ،وتسيطر القوى الظالمة على البشرية كلها ، وسوف لايقع هذا مادمنا متيقظين واعين لما يراد بنا ، قادرين على التماس طريقنا الذى هدانا الله بالحق .

ولقد عمل الإسلام على تحرير أتباعه من التأثيرالأجنبى بكل أنواعه ، ودعا إلى اليقظة إزاء الحرب النفسية ، والغزوالفكرى ، مما يهدف إلى تغيير المعالم الأصيلة لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم ، ذلك أن الإسلام إنما يريد « أمة متميزة » لها خصائصها ، ولها رسالتها ، فلا يضيع أهلها فى غمار الأمم ، ولاتحتويهم الدعوات ،ولاتصهرهم الحضارات ليكونوا الدعاة إلى الله ، قائمين على كلمة التوحيد الخالص لايضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة .

وما قدمناه فى هذه العجالة إجمال له تفصيل ، وحديث موجز من أحاديث مستفيضة، يجدها الشباب مبثوثة فى مختلف الدرسات التى كتبها رجال اليقظة الإسلامية فى العصر

الحديث .هذه ليست إلا « مفتاح » . لذلك البحث الواسع ونقطة بدء لتلك الدراسة المستفيضة للفكر الإسلامى المعاصر فى مواجهة تحديات الغزو والتغريب التى نرجو أن يتجه إليها الشباب المسلم المثقف ، ولعل الشىء الوحيد الذى يمكن أن تعطيه هذه العجالة هو: أن نكون دائماً على حذر ويقظة ، إزاء الفكر الوافد المطروح فى الساحة الإسلامية ، وأن نكون قادرين دائماً على أن نسأل أنفسنا :ماهو موقف الإسلام من كل هذه الأطروحات لنصل إلى الحق ؟ والله من وراء القصد ، وهو يهدى إلى سواء السبيل .

الفهـرس

رقم الإيداع : ٤١٨٣ / ١٩٩٤م

I.S.B.N : 977-255-110-1

مطابع الوفاء المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت: ٣٤٢٧٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠ ٣٥٦٢٣٠

ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨